# روايات مصرية للجيب

## سلة الروايات

2

Looloo
www.dvd4arab.com

# دماء في المعبد

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس رقم ٢٨٣٧٠٠٢

# لوتس

فى قلب التاريخ ، تسكن حضارة مصر القديمة .
بكل جمالها وقوتها .
حقائقها وأساطيرها .
نورها ونارها .
من قلب النيل نبعت هذه الحضارة .
كزهرة لوتس عطرة الرائحة .
ندية الملمس .
متألقة الألوان .
وإلى قلب الماضى ، نبحر فى قارب من البردى .
نجوب أجواء زمان ولّى .
مخلفًا آثاره التى لا تزول .
شامخة فى وجه الدهر .
وفى وجوه حاملى معاول الهدم والتشويه .
إنها زهور أينعت منذ فجر الوجود .
فتفتقت أوراقها .
وانتشرت أنوارها إلى كل الحضارات الإنسانية الأخرى .
إنها زهور لوتس .
فى قلب مصر .. القديمة .

محمد سليمان

# ١ ـ نهـــار عـــادى ..

كان النهار عاديًا للغاية فى ( طيبة ) ..

الشمس ترسل بقبلاتها الدافئة من الشرق ، النيل يتهادى فى مجراه ـ كملك مختال ـ مبشّرًا بفيضان وفير هذا العام ، الفلاحون استيقظوا مبكرين ، ومضوا إلى الحقول يحرثون ويسمدون ويرعون البقرات والثيران والخراف ، الموظفون بدءوا يومًا جديدًا من الأعباء الشاقة ، فى دواوينهم الحكومية ، التجار تكاثروا فى ساحة سوق ( طيبة ) ، يعرضون بضائعهم ، ويتنافسون فى الإطراء عليها أمام الزبائن .. فهذا بخور من ( بونت ) ، وهذه مشغولات ( النوبة ) اليدوية الباهرة الجمال ، وهذه أخشاب الأرز التى حملتها القوارب من ( الشام ) ، وهذا كتان مصرى خالص يصلح للنسيج ، هو آخر ما تبقى من موسم الحصاد الماضى ..

السوق مزدحم عن آخره ـ كالمعتاد ـ بالتجار والمشترين ..

وفى خضمّ الزحام ، وقف رجل من أهل ( طيبة ) ـ تشير ملامحه والشيب الزاحف على شعر رأسه إلى أواسط العقد

الخامس ـ ينادى فى الناس مستعرضًا مميزات بقرته النحيفة ، محاولاً أن يدارى بكلماته ما هو بادٍ عليها من ضعف وخور ..

تعالى صوت هتافه المتحمس ، لكن حماسته تبددت وسط انصراف الناس عنه ، لكنه استمر آملاً فى العثور على من يشتريها ، فينتشله من العُسرة التى يعانيها ..

ـ سيد ( تيتى ) .. سيد ( تيتى ) ..

التفت الرجل بسرعة نحو مصدر الهتاف ، كان هناك فتى يهرول من بعيد قادمًا نحوه وهو يردد الهتاف باسمه ، حتى بلغه ، فخرّ على الأرض محتملاً على ركبتيه ، بينما عقد ( تيتى ) حاجبيه وهو يعنفه ، قائلاً :

ـ ما الذى أتى بك الآن أيها الأحمق ؟! وكيف تركت المنزل وحده وأنت تعلم أن خالتك غير موجودة لترعاه ؟!

حاول الفتى استجماع أنفاسه وهو يقول بصعوبة :

ـ لـ .. لقد عا .. عادت خالتى و .. وطلبـ .. ت منى أن أذ .. أذهب بالبقرة الأ .. الأخرى إلى المعبد !

غمغم ( تيتى ) لنفسه :

ـ تبًا لها .. ما زالت تريد أن تقدمها قرباتًا لكهنة المعبد ، ليلتهموها فى بطونهم !



ثم عاد يخاطب الفتى بلهجة تقريع :

ـ وهل ذهبت بها إلى هناك ؟!

هدأت أنفاس الفتى قليلاً وهو يقول :

ـ أجل .. ولكن ..

صاح ( تيتى ) :

ـ ولكن ماذا ؟! هل أضعتها ؟!

هزّ الفتى رأسه نفيًا وهو يقول :

ـ كلا .. كلا .. ولكن ..

أمسك ( تيتى ) به من تلابيبه وهو يرفعه من الأرض زاعقًا فى نفاد صبر :

ـ ولكن ماذا عليك اللعنة ؟!

قال الفتى فى جزع :

ـ المعبد .. قوات الأمن تحاصره من جميع الجهات !

وجم ( تيتى ) قليلاً ، ولانت أصابعه القابضة على ثوب الفتى ، الذى لم يزد حرفًا على ما قاله ، وظل يحدق فى وجه زوج خالته منتظرًا أن يتركه .. لكن ( تيتى ) عاد ليمسك بملابس الفتى فى قوة وهو يسأل بريبة :

ـ هل أنت واثق مما تقول ؟!

قال الفتى متمنيًا أن يكون كلامه هو طوق نجاته من فيضان زوج خالته الغاضب :

ـ إننى آت من هناك من فورى .. قوات الشرطة تمنع العامة حتى من الاقتراب !

صمت ( تيتى ) مفكرًا من جديد ، ثم غمغم فى صوت غير مسموع :

ـ يبدو أنه أمر جلل !

أشار الفتى إلى نقطة ما خلف ظهر ( تيتى ) هاتفًا :

ـ انظر سيد ( تيتى ) ..

ترك ( تيتى ) الفتى واستدار ينظر إلى حيث أشار .. كانت عربة خشبية كبيرة ، بهية المنظر ، يقودها عبد نوبى ويجرها جوادان قويان تخترق السوق ، والناس يوسعون لها طريقًا متكدسين على الجانبين .. عاد ( تيتى ) يغمغم ، وحاجباه يزدادان انعقادًا حتى كادا يندمجان :

ـ عجبًا .. إنها عربة قائد الشرطة !

مرّت العربة من أمامه مسرعة ، بينما هتف الفتى من خلفه وهو يشير إليها من بعيد :



ـ إنها تتجه إلى المعبد .. ألم أقل لك يا سيد ( تيتى ) ؟!

تجمهر العامة شاخصين بأبصارهم إلى المعبد البعيد ، والعربة المتجهة إليه ، وأخذت الهمهمات تسرى فيما بينهم .. بينما حك ( تيتى ) ذقنه وهو يعاود الغمغمة :

ـ إنه أمر جلل بكل تأكيد !

★ ★ ★

توقفت عربة قائد الشرطة أمام بوابة معبد آمون الكبيرة ، بعد أن اخترقت النطاق الأمنى المضروب حوله .. وهبط منها رجل قوى البنيان ، أسمر سمرة طمى النيل ، تغزو الشعيرات البيضاء سواد شعره الخشن القصير .. كان يرتدى الزى المميز لقائد شرطة (طيبة ) ، وكانت عيناه الحادتان الضيقتان مسددتين نحو ذلك الرهط من الكهنة ، الذى اندفع مسرعًا نحوه بمجرد هبوطه من العربة ، بملابسهم الكتانية المميزة ورءوسهم الحليقة تمامًا .. وإذ توقف الرهط على مقربة منه ، اندفع أكبر الكهنة سنًا وأرفعهم شأوًا نحوه مجيبًا :

ـ مرحبًا بالسيد ( تاوى ) .. قائد شرطة ( طيبة ) ..

هزّ ( تاوى ) رأسه رادًا التحية ، بينما قال الكاهن يعرّف نفسه :

ـ الكاهن ( سنب ) فى خدمتك ..

ألقى ( تاوى ) نظرة على الكهنة المأخوذين .. الصامتين كأن على رءوسهم الطير .. المسددين أبصارهم إلى أسفل فى حزن وألم ظاهرين .. ثم وجّه حديثه للكاهن ( سنب ) ، قائلاً :

ـ حسن أيها الكاهن ( سنب ) .. أحتاج إلى رؤية موقع الجريمة ..

ـ على الرحب والسعة أيها القائد ..

قال ( تاوى ) هامسًا :

ـ ستصحبنى أنت فقط ..

بادله ( سنب ) الهمس بقوله :

ـ أستطيع تفهم هذا قطعًا .. انتظرنى لحظة ..

اتجه (سنب ) نحو بقية الكهنة ، وتبادل معهم بعض الكلمات والإشارات والإيماءات ، ثم عاد يقول لـ ( تاوى ) بكل جدية :

ـ تفضل معى ..

قال ( تاوى ) محافظًا على نبرة صوته المنخفضة :

ـ أحتاج أيضًا لمعرفة كل شىء .. بأدق التفاصيل ..

هزّ ( سنب ) رأسه ، قائلاً :



ـ سأروى لك كل ما أعرفه ونحن فى الطريق ..

قاده الكاهن ( سنب ) عبر القاعات والأروقة المتسعة ، وهو يقص عليه ما حدث فى الفجر :

ـ استيقظنا قبل الشروق على صراخ (كارا ) خادم المعبد .. هرعنا إليه ، حيث كان ملقى على أرضية الغرفة فاقدًا للوعى .. وعلى سريره كان الكاهن الأكبر جثة هامدة ، ودماؤه تغطى أنحاء غرفته .. هذا كل ما فى الأمر ..

سأل ( تاوى ) :

ـ وما الذى أتى بخادم المعبد إلى غرفة الكاهن الأكبر ؟!

هزّ ( سنب ) كتفيه ، قائلاً فى بساطة :

ـ (كارا ) يوقظ كل من فى المعبد ـ بما فيهم الكاهن الأكبر ـ قبل الشروق كل يوم .. ثم إننا نعتبره خادمًا خاصًا للكاهن الأكبر ، منذ أن عينه بنفسه منذ ما يقرب من العام ..

تراءى لهما فى منتصف إحدى القاعات قدس الأقداس ، وبجواره مذبح القرابين .. حدق ( تاوى ) فى الجرار والسلال المملوءة بالخيرات ، ودماء القرابين التى تلوث المذبح ثم قال :

ـ للكاهن الأكبر أعداء كثيرون !؟

قال ( سنب ) :

ـ لا أظن أن علاقة العداوة بينه وبين أى إنسان ، يمكن أن تصل إلى حد إراقة الدماء ..

قال ( تاوى ) بنبرة ساخرة :

ـ من يدرى ؟!

تجاهل ( سنب ) رائحة السخرية التى فاحت من عبارة ( تاوى ) ، وقال مستطردًا :

ـ إن الصدمة شديدة حقًا أيها القائد .. فالكهنوت هو سر الحضارة ، هو زواج العلم بالعقيدة من أقدم العصور حتى يومنا هذا .. هو عبورنا من الظلام إلى النور .. هو الطب والفلك والهندسة والآداب والتراتيل والأناشيد والقرابين .. هو السحر والمسحور .. خلف هذه الجدران أيها القائد تكمن أسرار الكون ، مما لن يعرفه الناس قبل ألوف السنين .. ومما لن يعرفه الناس أبدًا ، مهما امتد بهم الدهر أيامًا وسنين .. هنا تصنع الحياة ..

قال ( تاوى ) مستخفًا :

ـ ولكنكم تعجزون عن مقاومة الموت !

قال ( سنب ) مدافعًا :



ـ عندما يموت الكاهن الأكبر ، فهو حكم إلهى لا مفر منه ، لكن أن يقتل فى غرفته ، فالأمر هنا خارج حدود التخيل .. إنه يصدمنا فى مسلّمات مقدسة ..

ممتعضًا قال ( تاوى ) :

ـ أنا لا أفهم حديثك أيها الكاهن ..

عاد ( سنب ) يستطرد ، قائلاً :

ـ لأوضح لك الأمر ، تخيل معى رد فعل واحد من العامة ، عندما يعلم أن كاهن آمون الأكبر قد قتل غيلة فى المعبد المقدس ..

قابل ( تاوى ) حديثه بالصمت فتابع ( سنب ) :

ـ الأقرب إلى الذهن أنه سيفقد ثقته بالكهنة والمعبد .. وهكذا .

قاطعه ( تاوى ) بقوله :

ـ وهكذا تفقدون مصدر دخلكم الأساسى .. القرابين التى يضعها العامة تحت تصرف الإله !

صمت ( سنب ) برهة ، ثم عاد يهز كتفيه ، قائلاً :

ـ فليكن .. وهكذا بالتالى تفقد الدولة أقوى بؤرة للعلم والفن والدين .. ألست معى ؟!

زاد ( تاوى ) من سرعة خطواته ، حتى بلغ مع مرافقه البحيرة المقدسة ، التى يغتسل فيها الكهنة ثلاث مرات يوميًا على الأقل ، حفاظًا على الطهارة ، لكنها كانت خالية تمامًا إلا من المياه الصافية الرقراقة ، عبراها فى صمت وكأنهما أدركا عدم جدوى الحوار بينهما ، وعندما بلغا ذهليزًا ضيقًا فى نهاية البحيرة ، أشار الكاهن ( سنب ) إلى الغرفة التى تحتل مقدمته ، قائلاً :

ـ هذه غرفة الكاهن الأكبر .

توقف ( تاوى ) أمام المدخل ، وقال لـ ( سنب ) :

ـ سأتفقد الأمن بمفردى ، وانتظرنى أنت هنا ..

هزّ ( سنب ) كتفيه كالمعتاد ، وقال متظاهرًا باللامبالاة :

ـ ليكن .. كما تحب ..

رفع ( تاوى ) الستار المنسدل أمام المدخل ، وخطا بقدميه إلى الداخل وأعاد إسدال الستار خلفه ، وشرع يتأمل الغرفة ومحتوياتها المتواضعة ..

كانت رائحة الدماء تملأ جو الغرفة الصغيرة ، وجثة الكاهن الأكبر الضخمة ملقاة ـ البطن لأسفل ـ على سريره الخشبى الملتصق بالحائط .. والدماء تغطى منطقة الظهر بأكملها ، ملوثة الرداء الأبيض ، وتسيل على الأرض صانعة بركة متخثرة من اللون الأحمر ..



لم تكن هناك آثار عنف ، كل شىء يبدو فى مكانه .. الصناديق مختلفة الأحجام المتناثرة فى أركان الغرفة .. أوراق البردى الخالية من الكتابة ، والمرتبة فى طبقات إلى جوار لوح الكتابة ، وعدة أقلام من البوص ، وأيقونات من الحبر ، حتى صدرية الكاهن الأكبر المميزة موضوعة فوق الخوان المجاور للسرير والمساوى له تقريبًا فى الارتفاع ..

اقترب ( تاوى ) من أحد الصناديق وفتحه ، طالعته كومة عالية من لفافات البردى ، وعندما قام بفرد إحداها ، رأى الطلسمات المنقوشة بالهيروغليفية فى اصطلاحات ومعادلات وأسرار لا يستطيع سبر أغوارها سوى كاهن محترف ..

ولم يجد الكاهن ( سنب ) فى انتظاره عندما خرج من الغرفة ، فوقف ينتظره قليلاً ..

طال غياب ( سنب ) فأرسل ( تاوى ) بصره إلى نهاية الدهليز ، لتطالعه عدة مداخل لعدة غرف ..

وقرّر أن يذهب إليها واحدة فواحدة متفحصًا ..

وبمجرّد أن خطا أولى خطواته نحو أول غرفة ، كان ( سنب ) يغادرها ! وعندما وقع بصر هذا الأخير على ( تاوى ) قال مندهشًا :

ـ لقد انتهيت من تفقد الأمر بسرعة !

أجاب ( تاوى ) فى بساطة :

ـ لم أحتج للكثير من الوقت .. وأين كنت أنت ؟!

أشار ( سنب ) للغرفة التى غادرها من فوره ، قائلاً :

ـ كنت أطمئن على ( كارا ) .. خادم المعبد الذى أخبرتك عنه .. هذه هى غرفته ..

ـ وكيف هو الآن ؟!

ـ استعاد وعيه .. لكنه ما زال تحت تأثير الصدمة ..

ـ ومتى يمكننى استجوابه ؟!

ابتسم ( سنب ) نصف ابتسامة وهو يجيب :

ـ للأسف .. لن تستطيع هذا إطلاقًا !

استفزت ابتسامته ( تاوى ) الذى سأل مستريبًا :

ـ ولِمَ ؟!

قال ( سنب ) مفسرًا :

ـ لأن ( كارا ) أصم .. لا يسمع ولا يتكلم !!

صمت ( تاوى ) برهة ثم قال بلهجة ملؤها التحدى :



ـ فليكن .. قد لا أستطيع استجوابه ، ولكن ليس هناك ما يمنع من إلقاء نظرة عليه .. على الأقل !

أفسح ( سنب ) له الطريق قائلاً فى استهانة :

ـ ومن يستطيع منعك من هذا ؟!

اندفع ( تاوى ) نحو الغرفة ، لولا أن استوقفه سؤال ( سنب ) الذى بدا له مستفزًا :

ـ ألا تريدنى معك هذه المرة ؟!

التفت ( تاوى ) إليه قائلاً فى هدوء أراد أن يكون مستفزًا :

ـ لا مانع !

الغرفة رقيقة الحال .. هذا هو الانطباع المبدئى .. بساطة الأثاث ، وكلوح الجدران ، والفوضى النسبية .. ثم جسد ضئيل لرجل تبرز عظام وجنته وتغطى الدماء ـ دماء الكاهن الأكبر ـ ثوبه القصير ، ممدد على فراش قطنى ، مفرود على أرضية الغرفة ..

قال الكاهن ( سنب ) فى صوت خفيض :

ـ لوثت دماء الكاهن ثوبه ، عندما وقع مغشيًا عليه فى غرفته إبان اكتشافه الحادث !

قال ( تاوى ) :

ـ ملحوظة ذكية !

وسارع يغادر الحجرة وخلفه الكاهن ( سنب ) .. الذى كاد يهرول وهو يحاول اللحاق بخطوات ( تاوى ) السريعة سائلاً :

ـ والآن ؟!

توقف ( تاوى ) بغتة حتى إن ( سنب ) كاد يصطدم به .. وسارع يلتفت مواجهًا إياه بسؤال مباغت :

ـ أين قضيت ليلتك أيها الكاهن ( سنب ) ؟!

بهت ( سنب ) وهو يحدق فى وجه ( تاوى ) بنظرة يشوبها قدر لا بأس به من البلاهة .. ثم سارع ليهز رأسه وكأنه ينفض عنها أفكارًا ما ، وهو يسأل مستفهمًا :

ـ ماذا تريد أن تقول أيها القائد ( تاوى ) ؟!

مطّ ( تاوى ) شفتيه ، ثم قال :

ـ لا شىء .. هو سؤال سوف يوجه إلى كل الكهنة ..

ندت ضحكة مبتورة عن ( سنب ) قال بعدها مستخفًا :

ـ ولكنى لست ككل الكهنة يا سيد ( تاوى ) .. إننى الرجل الثانى فى هذا المعبد بعد الكاهن الأكبر .. أى أننى سوف أحل محله فى وقت قريب للغاية .. ثم ..

قاطعه ( تاوى ) ، قائلاً بصرامة :



ـ كل ما لديك من أسباب يجعل لاستجوابى لك أولاً سببًا أدعى !

قطب ( سنب ) حاجبيه سائلاً :

ـ إلام تحاول أن تشير يا قائد ( تاوى ) ؟!

بنفس الهدوء قال ( تاوى ) :

ـ لا تحمل كلماتى أكثر من معناها الحرفى يا كاهن ( سنب ) ..

ثم استطرد وحِدَته ترتفع رويدًا رويدًا :

ـ المتهمون فى هذه القضية كثيرون للغاية .. يتضمنون كل من كان فى المعبد ليلة أمس من كهنة وموظفين .. ويتضمنون أعداء الإله آمون ، ممن آلت ممتلكاتهم للمعبد تحت مسميات القرابين والجبايات .. ويتضمنون أيضًا كل من يخشى من تعاظم سلطة المعبد وكهنته ، وعلى رأسهم الكاهن الأكبر ، سواء من سياسيين أو كهنة فى معابد أخرى .. إنهم عشرات .. بل مئات .. وأنت لست ممن سيخرجون عن دائرة الشبهات لمجرّد كونك الكاهن الثانى .. لا أنت ولا أى من كهنتك .. هل فهمتنى ؟!

اشتعلت النيران فى عينى كل منهما ، وهو يرمق الآخر بحدة .. وامتد بينهما حبل الصمت لحظات ، حتى قطعه الكاهن ( سنب ) بقوله :

ـ حسن أيها القائد .. ولكنى قضيت الليلة فى غرفة التحنيط بين عشرة من الكهنة الشبان .. ولعل هذا كاف تمامًا لإبعادى عن دائرة الشبهات !

عاد حبل الصمت يمتدّ من جديد .. ومن جديد قطعه الكاهن ( سنب ) قائلاً بغيظ مكتوم :

ـ وإنه لمن دواعى أسفى الشديد أن تبدأ الأمور بيننا على هذه الصورة !

ثم استدار على عقبيه ماضيًا حتى اختفى بين أعمدة المعبد الضخمة ، تاركًا ( تاوى ) يزفر أحمال صدره المكبوتة .. إنه يحتاج لإعادة ترتيب أفكاره .. لتنظيم عمله فى هذه القضية الشائكة الملبئة بالمخاطر ، والمحفوفة بالنصال المسمومة .. لابد من خيط .. خيط رفيع يقوده لطريق يسير فيه .. فالطرق جميعها مفتوحة .. ولا دليل ..

ـ قائد ( تاوى ) :

ـ انتزعه النداء من أفكاره .. وجد أمامه كاهنًا شابًا وسيم القسمات حاد الملامح ، تشع عيناه ببريق يشى بذكاء لا يخلو من مكر .. كان قد رآه فى الرهط الذى استقبله أمام بوابة المعبد .. وجد ( تاوى ) نفسه يسأله :



ـ من أنت ؟!

ـ الكاهن ( ماى ) فى خدمتك .

أراد ( تاوى ) أن يسأله عما يريد ، لكن ( ماى ) لم يمنحه فرصة وعاجله بالقول :

ـ أنت تسأل نفسك عن سبب وجودى هنا .. أليس كذلك ؟!

وقبل حتى أن يفتح ( تاوى ) فمه بادره بالقول :

ـ دعنى أخبرك أن استنتاجك المبدئى خاطئ !

عقد ( تاوى ) حاجبيه متسائلاً :

ـ أى استنتاج مبدئى ؟!

قال ( ماى ) محدقًا فى عينى ( تاوى ) :

ـ أنت تفكر فى أولى الخطايا البشرية .. الحقد .. التنافس من أجل الحيازة !

احتد ( تاوى ) ، قائلاً :

ـ هل كنت تسترق السمع فى أثناء حديثى مع الكاهن (سنب ) ؟!

هزّ ( ماى ) رأسه نفيًا ، ثم قال :

ـ إطلاقًا .. لكنى رأيت الكاهن ( سنب ) منذ لحظات يسير مكفهرًا فعلمت أن فى الأمور أمورًا ..

قال ( تاوى ) ، فى لهجة حاول صبغها بصبغة الهدوء :

ـ أنا لم أقل أكثر من أن الجميع يقعون فى دائرة الشبهات ..

وأضاف بلهجة ذات مغزى :

ـ الجميع !

غالب ( ماى ) شبح ابتسامة ارتسمت لحظات فوق شفتيه ، ثم قال :

ـ لن تستفزنى بسهولة أيها القائد .. وحتى أقطع عليك سبل التمادى ، فقد كنت بجوار الكاهن ( سنب ) ليلتها ـ بالأمس ـ فى غرفة التحنيط ..

قال ( تاوى ) وهو يضيق عينيه مبديًا الذكاء :

ـ لا تحاول إقناعى أن عشرة من الكهنة قضوا ليلة بأكملها مجتمعين حول جثة فى غرفة التحنيط .. دون أن يكون لأحدهم الفرصة أن يقتلنى شخصيًا لو أراد !

قال ( ماى ) متظاهرًا بالبساطة :

ـ أنا لا أحاول .. وأنا شخصيًا قد غادرت الغرفة أكثر من مرة لأكثر من سبب .. والكاهن ( سنب ) كذلك .. فهل يضيف هذا لك شيئًا ذا قيمة ؟!

فى ضيق قال ( تاوى ) :

ـ كاهن ( ماى ) هل تحاول إخبارى بشىء ما ؟!



قال ( ماى ) :

ـ أحاول انتشالك من الدائرة المفرغة التى تدور فيها دون جدوى !

عقد ( تاوى ) ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

ـ هات ما عندك .. كلى آذان مصغية ..

قال ( ماى ) بهدوئه الذى يبدو مصطنعًا :

ـ سوف أخبرك .. ولندعُ ألا يكون هناك من يسمعنا .. فالأمر أخطر مما تتصوَّر ..

★ ★ ★

## ٢ ـ اشتبـــاه ..

للموت رائحته الخاصة المفعمة بالغموض ، والدهشة ، والأسرار ..

تغادر البا ( الروح ) الخات ( الجسد ) محلقة بجناحيها عبر الأثير إلى عالم ( أوزوريس ) السفلى ، حتى يؤذن لها فتبعث فى الخات من جديد .. لتحاكم أمام محكمة الموتى ، فإما نعيم الجنة الخالد أو نار جهنم وبئس المصير .

لذا ، فلا بد من أن يُحفظ الجسد على حالته حتى تعثر عليه الروح عند البعث ..

وهكذا ، نشأ التحنيط ..

وقف الكهنة الشبان يراقبون معلمهم الكاهن ( سنب ) وهو يستخرج أحشاء الجثة الممددة فوق المنضدة أمامهم بحنكة وخبرة اكتسبها على مر السنين ، ثم وهو يضع تلك الأحشاء فى أوان فخارية مملوءة بسائل يحفظها من التحلل ..

تراقصت الظلال البرتقالية التى تلقيها نيران المشاعل المثبتة على جدران الغرفة ، على وجوه الكهنة الشبان ، عاكسة وهج



أعينهم المتعطشة للعلم والمعرفة .. مبهورين كانوا بمهارة (سنب) ودقة عمله .. أتى (سنب) على الأحشاء جميعها ، لكنه ترك القلب فى مكانه وهو ينشد فى إجلال :

ـ أيها القلب .. أيها الأم ..

أيها القلب الذى صاحبنى طوال سنين عمرى ..

كن معى ، ولا تقف ضدى أمام القضاء ..

ولا يثقل فى وزنك أمام الميزان ..

فتكون نهايتى ..

صمت مستمعًا إلى أنفاس الكهنة العميقة .. ثم أشار إلى الجثة ، قائلاً :

ـ وهكذا تصبح جاهزة لتغطى بملح النطرون مدة السبعين يومًا .. ثم نغسلها ونلفها بشرائط الكتان ، تقدمة لمراسم الدفن والجنازة ..

لم يعقب أحد من الكهنة ، ظلوا صامتين منتظرين أوامر الكاهن الثانى .. بينما أغلق هذا الأخير عينيه وطفق يدمدم بعبارات من كتاب الموتى لم يسمعها أحد منهم ، وعندما انتهى أشار نحو واحد منهم وهو يقول :

ـ كاهن ( ماى ) ، ستذهب إلى مخزن المعبد لإحضار المزيد من ملح النطرون .. بينما سيُعد ( حابو ) و ( تورى ) التابوت لوضع الجثة ..

حنى الكاهن (ماى ) رأسه الحليق تمامًا مغمغمًا فى خشوع :

ـ سمعًا وطاعة ، كاهن ( سنب ) ..

وفعل الآخران مثله .. أمسك ( ماى ) بأحد المشاعل المثبتة فى الجدار بيده فى قوة وغادر الحجرة ..

ودبت خطواته فى سكون المعبد الليلى ، حيث لا يسمع إلا أصوات الريح المتسللة ، عبر ثنايا الجدران الضيقة .. وعندما بلغ البحيرة المقدسة ، نظر للسماء المكشوفة فوقها وتأمل النجوم التى تطرز ثوب الليل الأسود ، واستطاع بحسبة بسيطة أن يعلم أن الوقت قد جاوز منتصف الليل بقليل ..

كان القمر يعكس أضواءه الفضية على مياه البحيرة التى تداعبها نسائم الليل ، خالقة جوًا ساجرًا قلما يشهده ( ماى ) فى غمار أعباء الكهنوت الشاقة ..

وكان عليه أن يعبر من أمام الدهليز الذى تحتل غرفة الكاهن الأكبر مقدمته ، حتى يصل إلى المخزن .. ومع اقترابه البطىء كان هناك ضجيج يتضح تدريجيًا ، منبعثًا من غرفة الكاهن الأكبر .. ومع اقترابه أكثر كان الضجيج يتضح .. ويتضح ..



إنها أصوات بشرية ، يستطيع أن يميز صوت الكاهن الأكبر من بينها فى وضوح .. والحديث الدائر يبدو شجارًا متزايد الحدة .. لكنه لا يستطيع تمييز معنى الأصوات .. ليقترب أكثر .. ها هى ذى الغرفة .. وها هو ذا الستار المنسدل على مدخلها ، يعكس ظلالاً محددة المعالم .. من أثر نيران المشاعل داخل الغرفة .. وها هو ذا يستطيع أن يميز ظل الكاهن الأكبر الضخم الأصلع تمامًا ، وأمامه ظل آخر لرجل قوى البنيان ، عريض المنكبين ، يظهر أنفه الطويل بوضوح من ظله على الستار .. كان هذا الظل الأخير يهتف فى غضب :

ـ ما معنى هذا أيها الكاهن ؟!

قال ظل الكاهن الأكبر فى بساطة وهدوء :

ـ معناه واضح يا قائد الجيش .. أنا لن أشارك فى تلك الجريمة ..

تزايد غضب ظل قائد الجيش وهو يهتف :

ـ لكنك كنت معنا منذ البداية ..

بنفس الهدوء والبساطة ، قال ظل الكاهن الأكبر :

ـ العاقل من ثاب إلى رشده !

على حافة الانفجار صاح ظل قائد الجيش :

وها هو ذا يستطيع أن يميز ظل الكاهن الأكبر الضخم الأصلع تمامًا ، وأمامه ظل آخر لرجل قوى البنيان ، عريض المنكبين ..

ـ أنت تخون عهدًا قطعته معنا ..

قال ظل الكاهن الأكبر :

ـ وأصون عهدًا آخر قطعته من قبل ..

انفجر فيه ظل قائد الجيش صائحًا فى هياج :

ـ إنك متورط معنا برغم أنفك ، ولن تنفعك هذه اللعبة الحمقاء !

حاول ظل الكاهن الأكبر أن يتحكم فى انفعالاته ، حتى لا تتطور الأمور ، وهو يقول محافظًا على هدوئه :

ـ كف عن هذا يا قائد الجيش .. إننى أرفض التعاون معك وكفى !

هنا دخل بينهما ظل ثالث لرجل قصير القامة مكتنز القد ، خاطب الكاهن الأكبر ، قائلاً :

ـ ليس بعد ما أعددناه معًا يا كاهن ( آمون ) !

بدا من الجلىّ ، أن هذا الأخير يحاول تلطيف الجو وتهدئة ثورة قائد الجيش .. إلا أن الكاهن الأكبر احتد عليه ، قائلاً :

ـ نطقت أخيرًا يا ( بنتاءور ) ؟! إذن فلتسمعا منى كلمتى الأخيرة فى هذا الأمر ، حتى لا نفتحه مرة أخرى .. التمادى فى هذا الأمر خطأ كبير .. وسيعود علينا نحن الثلاثة بأشد الضرر .. لذا يكفينا ما فعلناه إلى هذا الحد ، ولنفترق كل فى سبيله ..

قال الظل القصير :

ـ لقد حسبنا كل شىء بدقة أيها الكاهن والأمر .....

قاطعه ظل الكاهن الأكبر :

ـ إنها كلمتى الأخيرة أيها السيدان الجليلان .. يكفى إلى هذا الحد .. ولا تجبرانى على تصعيد الأمر ، فهذا كفيل بحمايتى وحدى دونكما ..

قال الظل القصير بنبرة دهشة :

ـ أنت تهددنا أيها الكاهن ..

قال ظل الكاهن الأكبر فى عدم اهتمام :

ـ لتضعا هذا فى الحسبان !

وفجأة ، اندفع ظل قائد الجيش ممسكًا بتلابيب الكاهن الأكبر وهو يخاطبه باتفعال :

ـ كلا يا كاهن ( آمون ) .. لتضع أنت فى حسباتك أننا نحن الثلاثة فى خندق واحد .. خندق لن يغادره أحدنا إلا محمولاً إلى مقبرته ..

قال ظل الكاهن الأكبر فى غير تصديق :



ـ أنت الذى تهددنى هذه المرة يا ( باتاو ) !

حاول الظل القصير أن يفض الاشتباك بينهما مهمهمًا بكلمات غير مفهومة .. غير أن ظل قائد الجيش هتف ، وهو ما زال ممسكًا بتلابيبه :

نعم أهددك يا كاهن ( آمون ) .. إما أن تكمل معنا ما بدأناه .. أو أقتلك !

وتركه يفلت ، وتسمّر الظلان واقفين فى صمت كأنهما يتبادلان نظرات غضبى .. وظل الظل القصير يهمهم بكلماته غير المفهومة ، محاولاً منع اندلاع الحريق برغم الشرارات الكثيرة .. بينما سقط قلب الكاهن ( ماى ) ـ من مكمنه حتى لا يلحظ أحد من الداخل نيران مِشْعَلِهِ ـ فى قدميه عندما بلغ الأمر هذه الحافة الخطرة ، وواصل السير الحثيث نحو مخزن المعبد .. ثم عاد أدراجه حاملاً ما طلب الكاهن (سنب ) فى يد ، والمشعل فى الأخرى .. ووقف عند مدخل غرفة التحنيط مراقبًا الكاهن (سنب ) الذى كان ينشد نصوصًا جنائزية من كتاب الموتى .. ومن بعيد .. لمح الكاهن (ماى ) شبحين متشحين بالسواد ينسلاّن خارجين من المعبد تحت أستار الظلام ..

★ ★ ★

انتهى الكاهن ( ماى ) من سرد روايته .. وظلّ صامتًا فى انتظار رد فعل ( تاوى ) .. بينما كسا الأخير ملامحه بقناع من الجمود ، مخفيًا ما يعتمل فى نفسه من مشاعر وأفكار ثائرة كالبراكين .. لقد أعطاه هذا الكاهن الخيط الذى يريده .. لكنه خيط من نار قد تحرقه هو شخصيًا .. فما العمل ؟!

رفع ناظريه إلى الكاهن فوجده يحدق فيه بدوره .. فما كان منه إلا أن تنحنح وهو يسأل :

ـ أهذا كل شىء ؟!

قال ( ماى ) بهدوئه المستفز :

ـ ظننت الأمر على قدر من الأهمية !

ضيق ( تاوى ) عينيه كعادته وهو يسأل محاولاً أن يعطى من أمامه انطباعًا بالذكاء :

ـ هل تدرك مدى خطورة ما قلت ؟!

قال ( ماى ) :

ـ بالطبع .. ولكنى لم أزد حرفًا على ما رأيت وسمعت ..

قال ( تاوى ) مستطردًا وكأنه ينظم الأفكار فى رأسه :



ـ معنى ما أخبرتنى به أن الكاهن الأكبر الصريع ، وقائد جيوش ( مصر ) و ( بنتاءور ) القصير ، الذى هو فى الغالب نائب وزير الجنوب .. هؤلاء الثلاثة ـ على علو مستوياتهم الوظيفية ـ كانوا يدبرون لجريمة ما ، أو هو أمر ما نعته الكاهن الأكبر بالجريمة .. ولما رفض الكاهن الأكبر التعاون ، هدده قائد الجيش بالقتل .. وقد تم هذا ليلة مقتل الكاهن الأكبر بالفعل !

ساد الصمت لحظات ، عاد بعده ( تاوى ) يقول :

ـ أى أن الأمر ببساطة شديدة : أن الكاهن الأكبر قد قتل بيد قائد الجيش .. بالتعاون مع النائب !

قال الكاهن ( ماى ) معقبًا :

ـ فى الحقيقة .. لم أشاهد هذا يحدث !

رفع ( تاوى ) حاجبيه وهو يقول كأنه انتبه لأمر كان غائبًا عنه :

ـ ولكن مهلاً .. ألم يرهما أحد سواك ؟!

نم صوت ( ماى ) عن حذر وهو يسأل :

ـ ماذا تعنى ؟!

قال ( تاوى ) فى سرعة :

ـ أعنى أنك لا تكفى لإثبات الواقعة .. شاهد واحد لا يكفى بكل تأكيد .. فما بالك والأمر يتعلق باثنين من أرفع موظفى الدولة شأنًا ؟! إننا لا نستطيع اعتمادًا على روايتك وحدها لكى نثبت حتى وجودهما هنا ليلة الجريمة !

لم يستطع ( ماى ) هذه المرة أن يمنع نفسه من الابتسام ، قائلاً :

ـ ومن قال إنك ستعتمد على روايتى وحدها ؟!

عقد ( تاوى ) حاجبيه فى توتر وهو يسأل :

ـ هل تعنى ؟!

قال ( ماى ) فى ثقة :

ـ أجل أيها القائد .. إن لدى دليل على وجودهما هنا الليلة الماضية .. دليل مادى قوى غير قابل للدحض ..

أمسك ( تاوى ) بذراعيه وهو يهتف متلهفًا :

ـ أين هو ؟! أين ؟!

اتسعت ابتسامة ( ماى ) ، وهو يدس يده فى ملابسه ، ثم يخرجها باسطًا كفه ..

وعلى كفه استقر الدليل الذى ما إن سقطت عليه نظرات ( تاوى ) ، حتى اتسعت عيناه وشهق بطريقة لا إرادية ..



كان دليلاً قويًا وغير قابل للدحض بالفعل ..

واتسعت ابتسامة ( ماى ) أكثر ..

★ ★ ★

عبر القائد ( تاوى ) أروقة قصر وزير الجنوب فى سرعة قاصدًا غرفته الرئيسية ، ولم يعترضه أحد من الجنود ، فهو واحد من القلائل المصرح لهم بالتجوال بحرية فى مختلف أنحاء القصر ، والمصرح لهم كذلك بمقابلة الوزير فى أى وقت متى دعت الحاجة لذلك ..

ولم تمض دقائق حتى كان يقف فى منتصف الحجرة مواجهًا السيد ( سيتى ) وزير الجنوب ، وبجواره ( بنتاءور ) نائبه قصير القامة المكتنز القد الذى قلما يفارقه .. وبمجرّد دخوله سارع ( تاوى ) بأداء تحية الإجلال المعهودة للوزير الذى ابتسم ، قائلاً :

ـ أما زلت مصرًا على هذه الرسميات يا ( تاوى ) ؟!

ردَ عليه نائبه ( بنتاءور ) :

ـ لو لم يفعل ، فهو ليس ( تاوى ) الذى نعرفه !

لم يشاركهما ( تاوى ) حوارهما ـ الذى بدا له سخيفًا ـ وآثر أن يصيب قلب الموضوع الذى حضر من أجله ، فقال بجديته المعهودة :

ـ إننى آت من فورى من معبد ( آمون ) يا سيدى ..

حاول ملاحظة أى تغير ـ ولو طفيف ـ فى ملامح ( بنتاءور ) .. لكنه أسرّ لنفسه أن هذا اللعين يجيد أداء دور غير المهتم .. بينما قال الوزير ( سيتى ) فى اهتمام :

ـ لعلّك جئت بأنباء جديدة .. إن الأمير ( تحتمس الثالث ) مهتم بنفسه بهذا الأمر ..

قال ( بنتاءور ) هازًا كتفيه :

ـ لديك كل الحق .. فقد يكون الأمر إرهاصة لحرب أهلية بين العامة والمعبد .. أو بين المعابد المختلفة !

قال ( سيتى ) وهو يتأمل المجهول :

ـ وستكون الحرب الأولى من نوعها فى تاريخنا الحافل بالحروب والثورات !

تنحنح ( تاوى ) وهو يقول متعمدًا أن يعطى لكلماته إيقاعًا مرعبًا :

ـ لا أعتقد يا سيدى أن الأمر سوف يأخذ هذه الصورة .

أبدى ( بنتاءور ) اهتمامًا مفاجئًا وهو يسدّد نظراته إلى ( تاوى ) ، الماثل أمامهما فى صلابة .. بينما سأله ( سيتى ) غير مخفٍ لهفته :



ـ هل جئت بجديد ؟!

قال ( بنتاءور ) بصوت منخفض نوعًا :

ـ يبدو ذلك ..

وجه ( تاوى ) حديثه للوزير ، قائلاً :

ـ أحتاج للحديث معك على انفراد تام يا سيدى ..

ثم نظر إلى ( بنتاءور ) نظرة جانبية وهو يضيف :

ـ مع اعتذارى للسيد النائب !

ظهرت أمارات عدم الفهم على وجه الوزير ( سيتى ) ونظر إلى ( تاوى ) مستغربًا حديثه ، محاولاً استجلاء ما يخفيه .. بينما نهض ( بنتاءور ) وعيناه مثبتتان على وجه ( تاوى ) ، وقال بلهجة جافة وهو يغادر الحجرة متثاقلاً :

ـ بإذنكما ..

وفور مغادرته ، عقد الوزير ( سيتى ) حاجبيه ، وهو يسأل ( تاوى ) مستفهمًا :

ـ ما الأمر يا قائد الشرطة ؟! وما الذى دعاك إلى صرف نائبى على هذه الصورة ؟!

قال ( تاوى ) فى حزم :

ـ الأمر جد خطير يا سيدى ..

هتف ( سيتى ) :

ـ هات ما عندك ..

قال ( تاوى ) مشيرًا إلى نافذة الحجرة الغربية :

ـ هلاّ أذنت فى النظر من هذه النافذة يا سيدى ؟!

سأل ( سيتى ) فى عدم فهم :

ـ وما علاقة هذا بالأمر ؟!

قال ( تاوى ) مستحثًا إياه على النهوض :

ـ العلاقة وثيقة .. لكن السرعة مطلوبة !

نهض الوزير واتجه نحو النافذة ملقيًا نظرة على حديقة القصر .. لم يكن هناك ما يريب .. فعاد الوزير يسأل فى صبر :

ـ ماذا تريد أن تقول يا قائد الشرطة ؟! إننى لا أرى شيئًا ذا قيمة ..

وقف ( تاوى ) خلفه ناظرًا إلى المزولة الضخمة القائمة فى منتصف الحديقة .. والمشيرة إلى ما بعد منتصف الظهيرة بقليل .. وقال فيما يشبه الهمس :

ـ لو كان استنتاجى صحيحًا .. فلن ننتظر طويلاً ..

قال ( سيتى ) وهو يلتفت إليه :



ـ إننى لن أظل هكذا طويلاً يا ( تاوى ) .. أريد أن أفهم ما ..

قاطعه ( تاوى ) مشيرًا إلى نقطة ما فى الحديقة .

انظر ، سيد ( سيتى ) ..

التفت ( سيتى ) برأسه إلى حيث أشار .. كان ( بنتاءور ) بقامته الضئيلة يهرول عبر ممر الحديقة المفضى إلى البوابة الخارجية ، صمت الوزير قليلاً ثم هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ لست أرى شيئًا عجيبًا .. إنه ( بنتاءور ) ..

سأل ( تاوى ) فى غموض :

ـ وما الذى يدفعه لترك القصر الآن ؟!

عاد الوزير يهز كتفيه ثم قال :

ـ ربما أصابه الحرج عندما .....

قاطعه ( تاوى ) ثانية وهو يشير بسبابته أن لا ..

ـ كلا .. كلاّ .. أنا أعلم أين سيذهب الآن ..

ثم اعتدل واقفًا وقفته الصارمة وهو يقول :

ـ سأروى لك الأمر بحذافيره يا سيد ( سيتى ) ..

وانطلق يروى على مسامعه قصة الكاهن ( ماى ) ، محاولاً الحفاظ على الألفاظ التى استخدمها الكاهن قد استطاعته ..

وعند ما فرغ منها كان الوزير (سيتى) يبدو مبهوتًا لما سمع .. حتى إنه نفض رأسه وهو يسأل ( تاوى ) هاتفًا فى استنكار :

ـ ما هذا الهذيان يا قائد الشرطة ؟!

قال ( تاوى ) فى جدية :

ـ هذا ما أخبرنى به الكاهن ( ماى ) يا سيدى .. وهو على حداثة سنه مشهود له بالنجابة والحصافة من جميع أساتذته وأقرانه ..

هرش (سيتى) رأسه ذا الشعيرات القليلة المتناثرة فى حيرة متسائلاً :

ـ قائد الجيش ونائبى ؟!

أضاف ( تاوى ) :

ـ والكاهن الأكبر يا سيدى ..

سار ( سيتى ) بخطوات متئدة تاركًا النافذة إلى وسط الحجرة ، وهو مستغرق فى تفكير يحاول من خلاله هضم ما سمع أو منطقته على الأقل .. ثم التفت إلى ( تاوى ) ، قائلاً :

ـ ولكنك تعلم أن شهادة الكاهن وحدها غير كافية لإثبات شىء ..

أومأ ( تاوى ) برأسه ، قائلاً :



ـ أعلم يا سيدى .. لكن الكاهن ( ماى ) قد عثر على دليل قوى .. وصفه بأنه غير قابل للدحض ..

جفل الوزير برهة وهو يردّد كالمغيَّب :

ـ دليل ؟!

بسط ( تاوى ) كفه بالدليل ..

واتسعت عينا ( سيتى ) فى دهشة حقيقية ..

أو ذعر حقيقى !

★ ★ ★

## ٣ ـ لـوتـس ..

ارتفع هتاف الجند المصطفين فى صفوف متوازية إلى عنان السماء ، معظمًا اسم الملكة ( حتشبسوت ) وشريكها فى العرش الأمير (تحتمس ) .. ثم معظمًا الجيش وقائده (باتاو ) .. ثم معظمًا الجندى الذى يذود عن بلاده بروحه ودمه حين يدعو الداعى إلى الحرب ..

وقف ( باتاو ) قائد الجيوش المصرية يرقب الجنود من مكان مرتفع .. وسرت النشوة فى عروقه عندما هتفوا باسمه مقرونًا بالتحية والتعظيم .. من هنا يشعر بالقوة ، منتهى القوة .. يشعر بأن الكون كله قد أصبح ملك يمينه ، يصرف أموره كيف شاء .. وأن التاريخ قد أصبح رهن إشارة من أصبعه ليعيد صياغة نفسه ..

وإذ هو على هذه الحال من الشرود ، أتاه من خلفه صوت أحد جنده :

ـ سيد ( باتاو ) .. لديك ضيف ..

هتف فى ضيق دون أن يلتفت :



ـ ومن يكون ؟!

أجابه الجندى :

ـ السيد ( بنتاءور ) .. نا ..

وقبل أن يتم الجندى عبارته كان ( باتاو ) قد اندفع هابطًا تلك المنصة المرتفعة ، ولم يمض وقت طويل حتى كان يقف مواجهًا ( بنتاءور ) فى غرفة مغلقة ، وكان يصيح فيه بعنف :

ـ ما الذى أتى بك ؟! ألم نتفق على .....

قاطعه ( بنتاءور ) على الفور :

ـ يبدو أن الأنباء لم تبلغك بعد ..

هدأت حدة ( باتاو ) قليلاً وهو يسأل :

ـ أنباء ؟! أى أنباء ؟!

قال ( بنتاءور ) محاولاً نقل التوتر الذى بداخله إلى ( باتاو ) :

ـ مقتل الكاهن الأكبر ليلة أمس ..

ازدرد ( باتاو ) ريقه بصوت مسموع ، وسأل فى توجس :

ـ هل كشفوا أمرنا ؟!

أجاب ( بنتاءور ) بصوت منخفض :

ـ لا أدرى .. أعتقد أنهم فى الطريق إلى ذلك ..

مضطربًا قال ( باتاو ) :

ـ مجيئك إلى هنا فى هذه اللحظة بالذات خطأ .. خطأ كبير ..

قال ( بنتاءور ) وهو يتنهد فى عمق :

ـ كان خطأ كبيرًا منذ البداية ..

مسح ( باتاو ) بكمه العرق المتفصد على جبينه وهو يقول :

ـ لن يفيد الآن ندم .. ما حدث قد حدث ، وانتهى الأمر ..

انفعل ( بنتاءور ) قائلاً فى حدة :

ـ كانت فكرتك منذ البداية يا ( باتاو ) .. كان تهور كبير منك ..

بادله ( باتاو ) الحدة ، قائلاً :

ـ ووافقتنى على هذا التهور أنت وصديقنا الراحل !

هتف ( بنتاءور ) وقد فقد أعصابه :

ـ كانت حماقة منى أن أوافقك ..

اشتعل ( باتاو ) غضبًا وهو يهتف بدوره :

ـ وحماقة منه ، ومنّى .. فماذا تريد الآن ؟!

انهار ( بنتاءور ) على مصطبة مرتفعة عن الأرض ، وهو يغمغم وصوته مختنق بالبكاء :

ـ لو كشفوا أمرنا .. سنموت !



اقترب منه ( باتاو ) محاولاً أن يهوّن الخطب :

ـ ومن أدراك أنهم فعلوا ؟!

وحك بسبابته أنفه الطويل وهو يغمغم :

ـ إنهم يحتاجون إلى دليل قوى ليثبتوا علاقتنا بالأمر .. ولا أظنهم قد عثروا عليه ..

رفع إليه ( بنتاءور ) رأسه ، قائلاً :

ـ حقًا ؟!

هزّ ( باتاو ) رأسه بالإيجاب .. بينما قال ( بنتاءور ) متسائلاً :

ـ ولكن أخبرنى .. أين ذهبت شارتك العسكرية ؟!

★ ★ ★

أمسك الوزير ( سيتى ) بالشارة العسكرية الخاصة بقائد جيوش ( مصر ) ، والتى يعلقها دومًا على كتفه الأيسر ، وقلبها فى يديه وهو يدقق النظر فيها بإمعان ..

إنها هى ، فهى مستحيلة التقليد لما تحويه من علامات متميزة قد تهملها العين غير الخبيرة .. ووجودها فى المعبد لا يحمل إلا معنى واحدًا لا غير : قائد الجيش ـ وبالتالى نائب الوزير ـ كانا فى المعبد أمس .. ليلة مصرع الكاهن .. وهكذا تصدق رواية الكاهن ( ماى ) وتؤيدها دلائل قوية ..

سأل ( تاوى ) :

ـ ما رأيك يا سيدى ؟!

قال الوزير ( سيتى ) دون أن يرفع عينيه من على الشارة :

ـ إن الأمر يتخذ مسارًا خطيرًا بحق ..

ثم هزّ رأسه فى غير تصديق وهو يغمغم :

ـ قائد الجيش .. ونائبى ، يا للمهزلة !

قال ( تاوى ) بأسلوبه الجدّى :

ـ بهذا يكون الأمر قد خرج عن نطاق سلطاتى المحدودة .. فالمتهمان الرئيسيان يفوقان جهاز الشرطة بأكمله مركزًا وسلطة ..

قبض الوزير على الشارة بأصابعه وهو يسأل ( تاوى ) :

ـ وماذا تقترح يا قائد الشرطة ؟!

قال ( تاوى ) :

ـ فى المعتاد نصدر أوامر اعتقال لكل المشتبه فيهم ، حتى يتم التحقيق معهم لإثبات التهمة أو نفيها .. ولكن فى هذه الحال الأمر مستحيل ..

ثم هزّ كتفيه مستطردًا :



ـ لهذا ، فالحل الأمثل هو اطلاع الأمير ( تحتمس ) ـ أو ربما الملكة نفسها ـ على الأمر فيُصدر أحدهما مرسومًا ملكيًّا يقضى بتكوين لجنة تحقيق خاصة ليكون لها سلطة التحقيق مع ( آمون ) نفسه إذا طالته الشبهة !

لم تعجب الدعابة ( سيتى ) ، لكنه لم يعلق وهو يفكّر فى كلام ( تاوى ) مغمغمًا :

ـ لجنة خاصة ؟!

اتجه الوزير نحو النافذة الشرقية المطلة على مجرى النيل ، وتأمل فى مياهه المنسابة الممزوجة بالطمى على الضفاف .. بدا أنه يفكر فى اتخاذ قرار ما ، لكنه عاجز عن حسم الأمر .. وعاد يغمغم ثانية :

ـ لجنة خاصة ؟! ولِمَ لا ؟!

ورفع عينيه إلى قائد الشرطة وهو يستطرد :

ـ لقد أصبت نقطة مهمة للغاية يا ( تاوى ) .. نعم ، سيعلم الأمير بالأمر .. وسيكون هناك فريق خاص يتولى مسئولية التحقيق فى هذا الحدث الرهيب ..

ثم عاد يسدّد نظراته نحو النيل خارج النافذة وهو يضيف :

ـ أجل .. إن ( لوتس ) هو الحل الوحيد .. والأمثل !

تنحنح ( تاوى ) وهو يسأل على استحياء :

ـ معذرة يا سيد ( سيتى ) .. هل قلت ( لوتس ) ؟!

اقترب منه ( سيتى ) واضعًا يده اليمنى على كتفه ، ثم قال :

ـ نعم .. ( لوتس ) يا قائد الشرطة ..

ثم نادى أحد الجنود وقال له آمرًا :

ـ جهز لى عربة تنقلنى على الفور إلى القصر الملكى .

حنى الجندى رأسه فى طاعة ، وانصرف مسرعًا لينفذ أمر الوزير ، بينما التفت هذا الأخير إلى ( تاوى ) ، الذى ارتسمت الحيرة على وجهه ، وابتسم وهو يربت على كتفه ، قائلاً :

ـ سوف أنتظرك فى غضون ساعة عند المرسى لنعبر إلى الشاطئ الغربى .. وهناك سوف أشرح لك الأمر كله ..

ثم غمغم فى عمق وهو يضع عباءة سوداء مطرزة فوق كتفيه :

ـ ولكنى يجب أن أستأذن الأمير أولاً ..

وأضاف قبل أن يغادر :

ـ ولا أعتقد أنه سيرفض !

★ ★ ★



رسا القارب على البر الغربى ، وأسرع الملاّح بالقفز منه وجذبه من حبل مثبت فى مقدمته ، وسارع يربط الحبل حول وتد مدقوق على البر .. وترجل من القارب ( تاوى ) و ( سيتى ) الذى رفع طرف ثوبه حتى لا تبلله المياه ..

كانت فى انتظارهما عربة بدائية الصنع ، يقبع على مقدمتها حوذيها الذى أشار لـ ( سيتى ) إشارة التحية وردّها ( سيتى ) مبتسمًا .. وجذب ( تاوى ) من ذراعه ، قائلاً :

ـ هلم بنا نركب ..

وانطلقت بهما العربة يجرها حصان واحد عبر الصحراء الممتدة .. بينما ران الصمت على الراكبين .. كان ( تاوى ) ينتظر حديث ( سيتى ) الذى سيفسر كل الأمور .. و ( سيتى ) صامت كحجر ، وكأنه يلعب بأعصابه .. لكنه سيؤثر الصمت هو الآخر ولن يبادر بسؤاله ..

ـ هل تذكر الكاهن ( تحوت ) ؟!

اقتحم عليه سؤال ( سيتى ) أفكاره .. لكنه أخذ يسترجع فى سرعة كل ما يعرفه عن هذا الاسم .. ولم تمض إلا لحظات حتى أجاب بعدها :

ـ هل تقصد ذاك الكاهن الذى هرب من ( طيبة ) منذ عشر سنين تقريبًا ؟!

وانطلقت بهما العربة يجرها حصان واحد عبر الصحراء الممتدة ..
بينما ران الصمت على الراكبين ..

لاحت سخرية لا يحبها (تاوى) فى ابتسامة (سيتى) ونبرة صوته وهو يقول :

ـ إذن أنت تميل لنظرية هروبه !

هزّ ( تاوى ) كتفيه ، قائلاً :

ـ لو كان قتل ـ كما يدعى البعض ـ لظهرت جثته أو على الأقل ما يدلنا على حقيقة مصرعه ..

سأل (سيتى) بنفس النبرة الساخرة :

ـ وهل من دليل على هروبه ؟!

أشاح ( تاوى ) بوجهه ، قائلاً فى ضيق :

ـ هذا الأقرب إلى تصورى !

اعتدل ( سيتى ) فى جلسته وهو يقول :

ـ تصورك صحيح جزئيًا أيها القائد .. إن ( تحوت ) حىّ .. لكنه لم يهرب ..

فى غير فهم سأل ( تاوى ) :

ـ وأين هو إذن ؟!

أشار ( سيتى ) بسبابته اليمنى إلى نقطة ما ، على المدى البعيد وهو يقول :

ـ إنه موجود هناك .. فى جبل ( طيبة ) الغربى ..

رفع ( تاوى ) بصره ناظرًا إلى ذلك الجبل الذى يتراءى من بعيد .. جبل (طيبة ) الغربى الذى يخشى الجميع مجرّد الاقتراب منه ، لما يشاع عنه من أساطير وخرافات .. عمن ذهبوا ولم يعودوا .. وعن لعنة الموت التى تصيب كل من غامر بالذهاب وعاد سالمًا .. وعن الأرواح الشريرة التى تسكنه وتثير الهلع فى قلب كل من تسول له نفسه أن يقترب .. ولاحظ ( تاوى ) للمرة الأولى أن العربة تتجه نحوه بالفعل !

تنهد الوزير ( سيتى ) فى عمق وانطلق يروى لـ ( تاوى ) القصة من بدايتها ، وهو ينظر فى المدى ، تتراءى لعينيه الشاردتين تهويمات غادرت مكامن ماضيها البعيد .

لقد بدأ الأمر منذ تلك الأعوام العشرة .. بالتحديد منذ بدأت تلك الخلافات فى النشوب بين الأمير ( تحتمس ) والملكة الأم (حتشبسوت ) حول اختلافهما على النظام العام لإدارة شئون المملكة المصرية .. فالملكة ـ كما تعلم ـ توجه عنايتها وتبذل قصارى جهدها ـ منذ اعتلائها عرش البلاد .. من أجل الإصلاح الداخلى ، متمثلاً فى البناء والتشييد والعمران والنهوض بالحياة ، وكانت بعثتها إلى بلاد ( بونت ) خير دليل عملى على ذلك .. لكن الأمير الذى رأى حينها أنه الأولى بعرش أبيه الراحل



( تحتمس الثانى ) ، كانت له وجهة نظر أخرى .. فهو ـ بعين المقاتل ـ كان يرى ما لا تراه الملكة من أعداء يتربصون بالبلاد من جميع الجهات .. ففى الغرب هناك قبائل التحنو والتمحو الرحالة الذين يريدون الفتك بالبلاد لاستلاب خيرها الوفير .. وفى الجنوب تتربص قبائل النوبة وتريد السيطرة على مجرى النيل كاملاً حتى المصب .. وفى الشرق يهدد أمراء الشام بالتمرد والعصيان وينتظرون الفرصة المثالية ليشقوا على السيادة الفرعونية عصا الطاعة .. كما أن بعضًا من فلول الهكسوس الذين طردهم ( أحمس ) البطل ، وعاد ( أمنحتب الأول ) ليشتت شملهم من جديد .. مازالوا يرعون فى فيافى الصحراء .. لذا ، كان يرى ( تحتمس ) أن الكلمة الأولى فى الحكم للسيف .. والأخيرة للرمح والعجلة الحربية .. ونتيجة هذا الخلاف كان ما كان من إشراك لـ ( تحتمس ) فى العرش بعد أن تربعت عليه الملكة بمفردها لأكثر من عشرين عامًا ..

صمت الوزير (سيتى) قليلاً يلتقط أنفاسه ، لم يكن ما يقوله جديدًا على (تاوى ) بأى حال من الأحوال ، فهو يشرح أوضاعًا سياسية قديمة يعرفها أى فلاح بسيط فى ( طيبة ) .. ولكن لعلها مقدمة تتضح الأمور بعدها أكثر ، فلا داعى للعجلة ..

كان الجبل يقترب ، والشمس المائلة إلى الغرب تصنع للعربة على الرمال ظلاً طويلاً .. بينما أطلق ( سيتى ) زفرة طويلة ، ثم قال وهو لا يزال محدقًا فى المجهول :

ـ خلال تلك الفترة ، نشأت الفكرة .. كان الكاهن ( تحوت ) وقتها ـ لو تذكر ـ أحد أنجب كهنة ( طيبة ) فى علوم الكهنوت وأسراره المغلقة .. وكان أحد المقربين بشدة للأمير ( تحتمس ) .. وكنت وقتها موظفًا مرموقًا ـ نظرًا لصلة القرابة البعيدة بينى وبين الأسرة الملكية ـ فى القصر قبل أن أصبح وزيرًا .. مازلت أذكر جيدًا ذلك اليوم الذى عرض فيه ( تحوت ) الفكرة على الأمير وكنت ثالثهما .. دار الحوار أولاً حول رغبة الأمير فى إنشاء الدولة على أساس القوة الحربية العسكرية ، كان رأى ( تحوت ) أن الأمان الكامل لن يتأتى إلا بسواعد حقيقية تذود عن البلاد بروحها إن لزم الأمر .. وأن السواعد الحقيقية لن تكتسب قوتها إلا باتحاد القوة العضلية مع القوة العقلية .. قلت أنا : إن الأمر بهذه الصورة يتطلب جيلاً يُربَّى منذ نعومة أظفاره على حمل هموم بلاده على عاتقه .. وهنا برقت عينا ( تحوت ) وطرح علينا فكرته المجنونة التى بدت وقتها مستحيلة التنفيذ .. لقد اقترح إنشاء جيش آخر لـ ( مصر ) .. جيش سرّى يعمل تحت الأرض ، عماده فتية يُربَّون منذ الصغر على



القتال .. ويدرسون فى نفس الوقت العلوم والفنون وأسرار الكهنوت .. ويدرسون كذلك الحيل وأساليب الخداع والمراوغة ، والجغرافيا والتاريخ ومفاتيح التعامل مع الشعوب المحيطة من لغة وثقافة وعادات وتقاليد وأفكار وخلافه ..

وهكذا يكون لدينا جيش ذو طابع خاص .. ليست الحرب ميدان قتاله ، وإنما السلم .. سيكون أفراده هم عين البلاد على ما يجاورها من شعوب متربصة .. يغوصون فى قلوب هذه المجتمعات ليصبحوا كبعض أفرادها ، بينما يدينون بولائهم الأصلى لـ ( فرعون ) ..

عاد ( سيتى ) يلتقط أنفاسه وهو ينظر إلى ( تاوى ) الذى استحوذت كلماته على كل اهتمامه ، ثم قال بعد هنيهة :

ـ استغرق منا ـ أنا والأمير ـ الأمر وقتًا حتى نستوعب فكرة الكاهن .. لكنها راقت للأمير ، وبدأت جلساتنا الثلاثية للتخطيط من أجل إخراج المشروع للنور .. كان عماد الأمر ـ وما زال ـ السرية المطلقة .. وبذلنا الكثير والكثير من الجهد والعمل والصبر والإرهاق .. واستقر بنا الأمر على اختيار جبل ( طيبة ) الغربى مقرًا للعمل .. وأن يُبنى فيه معبد هو فى الحقيقة معمل لتفريخ القوات الخاصة .. وفى تلك الأيام زدنا تأجيج نيران الشائعات حول هذا الجيل من خلال قصص العامة ،

ومنذ ذلك الوقت ، بدأ إعداد الجيل ذى الطبيعة الخاصة للغاية ، والذى سيكون هدفه الأول الدفاع عن البلاد داخلها وخارجها .. وقد اخترنا للمشروع اسمًا خاصًا يتناسب مع سريته ..

غمغم ( تاوى ) مأخوذًا :

ـ ( لوتس ) !

أومأ ( سيتى ) برأسه موافقًا وهو يتابع :

ـ وقد نجح المشروع فى خطواته المبدئية بالفعل .. فلـ ( مصر ) الآن جنود متخفون فى أغلب الإمارات الشامية والنوبية .. وقد قام بعض هؤلاء الجنود بعمليات ـ لم يعلم أحد عنها شيئًا بالطبع ـ كانت أكثر من ناجحة .. وما زالت زهور ( اللوتس ) تبعث بمزيد من عطورها وتتفتح لها كل يوم براعم جديدة ..

عبرت العربة خلال مجموعتين من الصخور كانتا بمثابة مدخل إلى الجبل .. وأخذ الحصان يركض جارًا خلفه العربة عبر طريق يبدو أنه يعرفه جيدًا ، بينما ( سيتى ) يغلق عينيه ، قائلاً :

ـ ولا أظن أن هناك فى ( مصر ) من هو أكفأ من جنود ( لوتس ) للعمل فى هذه الجريمة الشائكة .. التى لم تشهد ( طيبة ) مثلها من قبل !



بهت ( تاوى ) بما قال ( سيتى ) ، لم يصل خياله مطلقًا إلى هذا الحد ، وحتى لو كان قد أطلق له العنان ليحاول تخيل هذا ، فبالتأكيد كان سيصف نفسه بالخرف والعته ! أخذ الأمر منه بضع دقائق محاولاً قمع أشباح الدهشة المعربدة فى أعماقه ، حتى استطاع أن يسأل :

ـ و ... وهل يعلم قائد الجيش أو النائب ( بنتاءور ) بأمر ( لوتس ) هذا ؟!

هزّ ( سيتى ) رأسه نفيًا ، قائلاً :

ـ لا يعلم هذا الأمر سوى الأمير ( تحتمس ) .. وأنا .. ولولا هذه القضية التى تقع فى نطاق مسئوليتك المباشرة ، لكنت الآن مثل الجميع فى عداد الجاهلين !

انعطفت بهما العربة فى طريق جانبى ضيق و ( سيتى ) يضيف :

ـ ولا أحتاج لأن أخبرك بالطبع عن أهمية الكتمان ، ونسيان هذا الأمر برمته فور انتهاء المهمة ، حتى لا تكون العواقب وخيمة فوق رءوس الجميع ..

لم يجب ( تاوى ) ، إذ تعلقت عيناه بنقطة ما تظهر من بعيد .. ففى قلب الجبل ، وفى نقطة تبدو عسيرة الرؤية على المار

العادى يقبع فى جلال ذلك المبنى الذى يشبه المعبد الصغير ، بأعمدته والنقوش الهيروغليفية البارزة الزاهية الألوان المحفورة على جدرانه الأمامية ، إلا أن أهم ما يميزه هو ذلك النقش الكبير أعلى الواجهة ..

نقش لزهرة (لوتس ) بيضاء هائلة الحجم ، شديدة الإتقان ..

وفوق قمة المبنى ، كان هناك شاب نحيف ، ذو لحية سوداء خفيفة ، وعينين خضراوين ، يحفر بإزميله فوق حجر من البازلت ، التفت إلى زميله هاتفًا فى مرح بعد أن رأى العربة المقتربة :

ـ يبدو أن لدينا زوارًا اليوم !

رفع زميله الأسمر ، العارى الصدر ، البارز العضلات ، الأكرت الشعر ، عينيه ناظرًا نحو العربة ، ثم عاد ينهمك فى مزج السوائل الملونة ، وهو يقول فى غير اكتراث :

ـ إنه الوزير (سيتى ) .. ومعه شخص آخر لم أره من قبل ..

أطلق الأول صفيرًا من شفتيه ينم عن الدهشة والإعجاب وهو يهتف :

ـ يا إلهى ! هل رأيتهما من هذه المسافة ؟!

لم يعره الثانى التفاتًا وهو يواصل :



ـ يبدو أنها مهمة جديدة تتعلق بالضيف الجديد .

عاد الأول يدق إزميله وهو يقول كالحالم :

ـ كم أتمنى الذهاب فى مهمة .. إنى أشعر بالخواء فى هذا الجبل المقيت !

ثم التفت إلى زميله مكملاً :

ـ ألا تتمنى ذلك أنت الآخر يا ( حورى ) ؟!

أجابه ( حورى ) فى اقتضاب :

ـ لا .. عندما يحين الوقت المناسب فسوف يختارونى للمهمة المناسبة .

هزّ الأول رأسه فى خيبة أمل وهو يقول :

ـ صدقنى يا ( حورى ) .. كل ما ينقصك هو القليل من الخيال !

قال ( حورى ) وهو يضع السوائل على الأرض :

ـ أفضّل ألا تنقضى الواقعية العملية يا صديقى (محب ) ..

ثم نهض نافضًا كفيه وهو يقول :

ـ لقد انتهيت من مزج الألوان ، يمكنك أن تشرع فى التلوين قبل أن تجف ..

سارع ( محب ) بالهتاف قبل أن يمضى ( حورى ) :

ـ انتظر .. ألن تشاهد التمثال ؟! إنه يشارف على الانتهاء ..

قال ( حورى ) وهو يسير نحو السلم الحجرى الهابط إلى أسفل :

ـ سأراه عندما تنتهى منه .. أما الآن فلدى تدريب على الرماية مع المعلم ( باحرى ) .. إلى اللقاء ..

وسارع بالهبوط قبل أن يرد عليه ( محب ) ، فما كان من الأخير إلا أن عاد يهز رأسه وهو يتمتم :

ـ إنه ( حورى ) !!

ثم نظر إلى العربة التى توقفت على بعد أمتار قليلة من بوابة المبنى ، وهبط منها ( سيتى ) و ( تاوى ) ينظران نحو الرجل الأسود ضخم الجثة الذى اتجه نحوهما قائلاً فى صوت جهورى غليظ :

ـ مرحبًا سيد ( سيتى ) ..

ثم تفرس فى وجه ( تاوى ) سائلاً :

ـ من هذا ؟!

انعقد حاجبا ( تاوى ) لكنه لم يردّ ، ناظرًا إلى ( سيتى ) فى تساؤل .. بينما قال هذا الأخير مشيرًا له :



ـ السيد ( تاوى ) قائد شرطة ( طيبة ) ، مصرح له من الأمير ( تحتمس ) شخصيًا بالدخول .

ثم أشار إلى الرجل الأسود قائلاً لـ ( تاوى ) :

ـ هذا ( سن ) حارس ( لوتس ) الأمين .

والتفت ثانية إلى ( سن ) ، قائلاً :

ـ هل الكاهن ( تحوت ) هنا ؟!

قال ( سن ) وهو يرمق ( تاوى ) بريبة :

ـ نعم ، فى صومعته منذ طلوع الشمس ..

ومال يهمس فى أذن ( سيتى ) مشيرًا إلى ( تاوى ) :

ـ هل أُصدِرَ له تصريح كتابى ؟!

قال ( سيتى ) فى حسم :

ـ أنت تعرف أننا لا نستخدم تصاريح كتابية لهذه الأمور .. ولكنه سيدخل على مسئوليتى الشخصية ..

أخفى ( تاوى ) مشاعره ، وهو يتقدم إلى جوار ( سيتى ) نحو الداخل وخلفهما ( سن ) المتجهم ، ومال ( سيتى ) هامسًا له وهم فى طريقهم إلى صومعة ( تحوت ) :

ـ لا تشغل بالك ، الرجل يؤدى عمله ..

هزّ ( تاوى ) رأسه متفهمًا .. ثم قال :

ـ لنأمل أن ننتهى من هذا الأمر سريعًا ، قبل أن ينتشر الأمر فى أنحاء ( طيبة ) ..

ربت ( سيتى ) على كتفه مطمئنًا .. وواصلوا المسير نحو صومعة ( تحوت ) دون أن يتبادلوا ولو كلمة واحدة ؟!

★ ★ ★



## ٤ ـ فريـــق ..

الصومعة غارقة فى الظلام برغم أن الشمس مازالت فى السماء .. وفى المنتصف جذوة نار مشتعلة تنبعث منها رائحة بخور زكية ، لكنها تزيد من غموض المكان وغرابته ..

ـ عمت مساءً أيها المعلم ( تحوت ) ..

ذلك الكهل الطاعن فى السن ، ذو اللحية البيضاء الكثيفة الطويلة التى تحتل الجزء الأكبر من صدره ، والحاجبين الكثين ، والرداء الرمادى الطويل ، الجالس أمام الجذوة القرفصاء ، المغمض العينين كأنه غائب عن الدنيا كلها ..

أعاد الوزير ( سيتى ) إلقاء التحية عليه ، ففتح عينيه ببطء وظل لحظات يحدق فى المجهول ، ثم رفع عينيه أخيرًا إلى ( سيتى ) قائلاً بصوت فخيم لا يتناسب مع مظهره وشيخوخته البادية :

ـ مرحبًا يا ( سيتى ) ..

ونقل عينيه إلى ( تاوى ) الذى يجاهد حتى لا يبدى خوفه واستغرابه من كل ما يرى ويسمع .. ثم إلى ( سن ) الحارس

الأسود الضخم الواقف خلفهما فى ثبات وصلابة ، حتى سأل بنفس الصوت الفخيم :

ـ هل من متاعب ؟!

أجاب ( سيتى ) محاولاً أن يبدو مرحًا :

ـ بكل تأكيد .. وإلا لما كلفت نفسى مشقة العبور إلى الشاطئ الغربى !

وأتى سؤال ( تحوت ) حاسمًا :

ـ ما الأمر ؟!

أجاب ( سيتى ) فى جدية :

ـ لقد عثر على الكاهن ( آمون ) الأكبر مقتولاً فى غرفته هذا الصباح ..

لم يبد انفعال محدّد على وجه ( تحوت ) ، ربما بسبب أن ملامحه غارقة خلف لحيته وحاجبيه فلم يبد عليهما أى تغير .. لكنه كذلك لم ينبس ببنت شفة ، فأدرك ( سيتى ) أنه بانتظار سماع القصة كاملة .. وهكذا انطلق يروى له ـ فى اختصار غير مخل ـ تفاصيل ما حدث منذ الفجر حتى مثوله أمامه مع ( تاوى ) قائد الشرطة ناشدين المساعدة .. وبعد ما انتهى ، ساد صمت لحظى ، قطعه سؤال ( تحوت ) :

وهكذا انطلق يروى له ـ فى اختصار غير مخل ـ تفاصيل ما حدث منذ الفجر ، حتى مثوله أمامه مع (تاوى) قائد الشرطة ناشدين المساعدة ..

ـ وما علاقة ( لوتس ) بهذا الأمر ؟!

على الفور أجابه ( سيتى ) :

ـ إنهم على أعلى قدر من الكفاءة المطلوبة لمجابهة أمر بهذه الحساسية والخطورة ..

نقل ( تحوت ) عينيه إلى ( تاوى ) سائلاً :

ـ أليس هذا شأن الشرطة ؟!

نظر ( تاوى ) إلى ( سيتى ) وكأنه يطلب منه المساعدة .. فأسرع ( سيتى ) يقول مستطردًا :

ـ أيها المعلم ، لقد رويت الأمر بتفاصيله الصغيرة .. إننا نسير فوق غابة من الأشواك .. فالأمر فى غاية التعقيد كما ترى .. فأولاً : مقتل كاهن ( آمون ) هو فى حد ذاته كارثة كفيلة بإشعال أتون الحرب الدينية بين المعابد .. إن الأمر ما زال فى طى الكتمان حتى هذه اللحظة ، لكن العامة فى (طيبة ) يتهامسون ويتناقلون الأقاويل والشائعات ، وقد يعثرون فى جحر الحقيقة ـ ولو بالصدفة ـ فيحدث ما لا تحمد عقباه ..

رأى ( تاوى ) أنه الوقت المناسب ليتدخل ، فقال مستعرضًا ما لديه من معلومات :

ـ تنامى إلى علمنا شائعة مفادها أن ( آمون ) بنفسه قد هبط فى قدس الأقداس وطلب أن تتنازل الملكة (حتشبسوت )



عن العرش كاملاً لوريثه الشرعى ( تحتمس ) .. وأنه لن يبرح هيكله المقدس حتى يعتلى الملك الجديد عرشه فى أمان ! وهناك من يقول إنها حرب تشنها الملكة على كهنة ( آمون ) لما يبدونه من تعاطف ومؤازرة واضحة للأمير ( تحتمس ) ، لذا فقواتها تحاصر المعبد كنوع من التأديب لهم !

التقط ( سيتى ) خيط الحديث من ( تاوى ) مضيفًا :

ـ إننا لن نستطيع إخفاء الحقيقة طويلاً على أى حال .. فلن يشرق الصباح التالى على ( طيبة ) إلا وقد انتشر الخبر .. لكن الأمر سيهون حتمًا على العامة إذا عرفنا الجناة !

ثم أشار بإصبعيه متابعًا :

ـ وهكذا نأتى للنقطة الثانية .. فبرغم نطاق الشبهات الواسع جدًا ، تشير أصابع الاتهام لشخصيتين فوق مستوى الشبهات ، مقرونة بأدلة بعضها دامغ .. وهكذا فالأمر فوق طاقة الشرطة كما هو واضح ..

كان ( تحوت ) منكس الرأس يستمع إلى الحديث وكأنه غارق فى سبات عميق ، بينما أكد ( سيتى ) ما يريده بقوله :

ـ إن ( لوتس ) هو الحل المثالى ، شئنا ذلك أم أبيناه ..

قال ( تحوت ) دون أن يغير من وضع رأسه :

ـ إن ( لوتس ) لم تنشأ لهذه الأمور ..

قال ( سيتى ) منفعلاً :

ـ الأمر أخطر مما تتصور يا ( تحوت ) .. أقصد يا معلم ( تحوت ) .. صدقنى ، إننا فى أمس الحاجة للزهور التى بذرنا بذورها منذ سنين .. وإلا لما أرسلنا الأمير إليك ..

طال الصمت هذه المرة ، ورفع ( تحوت ) رأسه وتبادل مع ( سيتى ) نظرة طويلة ، أغنتهما عن جدال بلا جدوى .. وفى النهاية قال ( تحوت ) مستسلمًا :

ـ فليكن .. سوف أهديك أينع ثلاث زهرات ( لوتس ) لدى ..

تهللت أسارير ( سيتى ) وهو يقول :

ـ هذا كرم مشكور ..

تابع ( تحوت ) كأنه لم يسمعه :

ـ سوف يكونون لديك فى المعبد عندما يخيم المساء ..

وأشار بسبابته إلى ( تاوى ) ، قائلاً :

ـ وستكون أنت مسئولاً عنهم !

أصابت المفاجأة ( تاوى ) فحار جوابًا ولم يستطع أن يتكلم .. بينما ابتسم ( سيتى ) قائلاً فى امتنان :

ـ الشكر الجزيل لك أيها المعلم ..



ثم استأذن فى الانصراف .. وانصرف الثلاثة و ( تحوت ) يتابعهم بعينيه حتى غابوا تمامًا ..

★ ★ ★

الشمس تميل خلف الجبل ، تودع عالم الأحياء ، لتبدأ رحلتها الليلية فى عالم ( أوزوريس ) السفلى المفعم بالموتى ومعتقدات البعث والحساب .. تصبغ الأفق ببنفسجية الغروب الحزينة ، وتلقى فى القلوب بأشجان الرحيل المبللة بدمع النجوم ..

غادر القارب مرساه فى المغرب ، وانطلق نحو الضفة الشرقية يمخر عباب النهر الوادع فى استكانة ، يحمل على متنه ( حورى ) الذى يجدف بساعديه القويين ، و ( محب ) الذى وجم صامتًا كتمثال ، وقد استحوذ مشهد الغروب على مشاعره المرهفة .. وقد قطع هذا الأخير حبل الصمت مغمغمًا فى انبهار :

ـ أليس هذا رائعًا ؟!

أجاب (حورى ) دون أن ينظر :

ـ حقًا .. إنه جميل !

حدق فيه ( محب ) وهو يسأله :

ـ هل تدرى عم أتحدث ؟!

قال ( حورى ) بلا مبالاة :

ـ تقصد مشهد الغروب بالتأكيد ..

هتف فيه ( محب ) بانفعال :

ـ يا لك من مجحف ! هل تصفه بالجمال فقط ؟! إنه أسطورى .. خيالى .. ساحر .. يوحى بالشعر والرسم والموسيقى .. ويثير فى النفس أجمل المشاعر وأنبلها .. إن الطبيعة لساحرة بطبيعتها !

ثم أضاف مداعبًا :

ـ ذكرنى أن أدون هذه المقولة فى بردية تحمل اسمى ..

ونهض فوق مقدمة القارب وهو يفرد ذراعيه هاتفًا فى نشوة :

ـ إن الطبيعة لساحرة بطبيعتها !

قال ( حورى ) وهو يرفع رأسه ناظرًا إليه ، والقارب يتأرجح فى جنون :

ـ من الأفضل أن تجلس حتى لا تضطرنى إلى السباحة لانتشالك ..

سارع ( محب ) بالجلوس قائلاً فى اعتراض :

ـ إننى أجيد السباحة ، لو أن هذا ما يضايقك !



استمر ( حورى ) فى التجديف وهو يقول ناظرًا إليه من جديد :

ـ ولكنك لا تود ذلك الآن بكل تأكيد ..

هرش ( محب ) رأسه وهو يقول :

ـ دعنى أفكر !

قال ( حورى ) وهو يحاول أن يكظم غيظه :

ـ ( محب ) .. إننا فى مهمة تقصٍّ عن جريمة قتل غير عادية .. ولسنا فى نزهة نهرية بالتأكيد ..

استعد ( محب ) لخلع ثوبه ، وهو يهتف فى حماس :

ـ قليل من المرح لن يضر يا صديقى ..

حاول ( حورى ) أن يكسو لهجته بالتهديد وهو يقول :

ـ لن يعجب هذا المعلم ( تحوت ) ..

توقف ( محب ) وهو يسأله :

ـ ومن سيخبره ؟!

أجاب ( حورى ) فى حزم :

ـ أنا بالطبع ..

هتف ( محب ) مدافعًا :

ـ لِمَ ؟! وما الضرر ؟!

ضغط ( حورى ) على أسنانه وهو يقول مسيطرًا على عصبيته :

ـ يا لك من مستهتر ! فى المرة القادمة سأطلب ألا أرافقك إطلاقًا ..

فى مرح لكزه ( محب ) فى كتفه وهو يقول :

ـ ومن كان يتصوَّر أننا سنترافق أصلاً يا صديقى ؟! إننا كالماء والزيت مختلفان فى كل شىء تقريبًا .. ومع هذا فقرار المعلم ( تحوت ) نافذ برغم أنفى وأنفك وأنف الجميع ..

ثم غير من نبرة صوته مقلدًا صوت المعلم الفخيم :

ـ ستذهبان معًا .. فكل منكما لديه ما ينقص الآخر ..

لم يكن (حورى ) معجبًا بأسلوب (محب ) ويراه أرعن وغير مؤهل لتحمل أى مسئولية .. فما كان منه إلا أن قال محافظًا على هدوئه :

ـ لحسن الحظ أننا لن نكون اثنين فقط ..

بنفس لهجته المرحة قال (محب ) ، وهو يشير بيديه ويكاد يستخدم قدميه أيضًا :

ـ نعم ، نعم .. تقصد ذلك الرفيق الثالث الذى أخبرونا أننا سنقابله هناك .. إنهم يرون بالتأكيد أن لديه ما ينقصنا نحن



الاثنين ! دعنا إذن نخمن ماذا ينقصنا ؟! أنا شاعر ومثَّال ومحب للفن وعاشق للحياة ودارس لعلوم المادة وقوانين الفلك .. وأنت فارس ومقاتل من الطراز الأول وتتمتع بمهارات عقلية ممتازة .. ترى ما الذى ينقصنا إذن ؟!

قال ( حورى ) :

ـ سنعرف حتمًا بعد قليل ..

مطَّ ( محب ) شفتيه ، ثم قال :

ـ حسن .. ما دمنا لن نسبح ، دعنا إذن نفكر فى العمل .. ما رأيك فى ما سمعناه عن الحادث ؟!

أجابه ( حورى ) فى جدية :

ـ لم أكوّن رأيًا بعد ..

أشار ( محب ) بسبابته مداعبًا وهو يقول :

ـ طالب نجيب .. لا تكوّن رأيًا قبل المشاهدة والبحث والاستقصاء .. ولكنى أتساءل فى أعماقى :

ـ لماذا لم يحم ( آمون ) كاهن معبده الأكبر من القتل بهذه البشاعة ؟!

سأله ( حورى ) فى غير فهم :

ـ ماذا تقصد ؟!

حدق ( محب ) فى عينيه محاولاً النفاذ إلى دواخله وهو يسأل :

ـ دعنى أسألك مباشرة : هل تؤمن بـ ( آمون ) ؟!

حار ( حورى ) جوابًا ، وارتخت عضلات ساعديه للحظة فتوقف المجدافان عن العمل .. من الواضح أن ( محب ) قد أصاب نقطة حساسة فى أعماقه .. وبعد أن لفهما الصمت لحظات ، عاد ساعدا ( حورى ) للعمل ، بينما هزّ ( محب ) كتفيه وهو يجيب عن السؤال الذى طرحه :

ـ أنا لا أومن به .. لا ( آمون ) ولا ( رع ) ولا ( حتحور ) ولا ( حتوم ) .. ولا كل هذه المسميات المجوفة من داخلها ..

ثم شرد ببصره فى المجهول وهو يقول فى وجد :

ـ إننى أومن بوجود كيان أسمى من كل هؤلاء .. يتحكم فى مصير الدنيا بكل ما فيها من بشر ودواب وحشرات ونبات وتراب وماء ونار .. كيان يجمع فى داخله كل مزايا هذه الآلهة دون مساوئها ونقاط ضعفها .. كيان متوحد فى ذاته .. حاضر فى ملكوته .. أحسه فى كل ما حولى .. فى داخلى .. وربما فى داخلك أيضًا .. هل تفهمنى ؟!

قليلة للغاية تلك المرات التى رأى فيها ( محب ) ابتسامة (حورى ) ، لكنه واثق هذه المرة من أنه رآها كشبح يرتسم على شفتيه سرعان ما تلاشى بعد أن قال :

حار (حورى) جوابًا ، وارتخت عضلات ساعديه للحظة فتوقف المجدافان عن العمل ..

ـ أجل ..

لم يصدق ( محب ) نفسه ، فهتف فى حماس :

ـ هل قلت أجل ؟! إذن فقد اتفقنا على شىء أخيرًا !

أشار له ( حورى ) قائلاً فى صوت خفيض :

ـ اخفض من صوتك فنحن نشارف على الوصول .. ولا تنس أننا تجار من ( منف ) إذا استوقفنا أى من جنود الشرطة ..

التفت ( محب ) ليرى اقتراب الضفة الشرقية ، ثم غمغم فى شوق :

ـ كم أشتاق إلى ( طيبة ) !

هزّ ( حورى ) رأسه فى يأس موقنًا بصعوبة إيجاد لغة مشتركة للتفاهم مع زميله ، صعوبة تكاد تبلغ حد الاستحالة ..

* * *

اقتحم القائد ( تاوى ) غرفة التحنيط وهو يصيح فى غضب :

ـ من المسئول عن هذا الصرح ؟!

رفع إليه الكهنة الملتفون حول جثة الكاهن الأكبر أعينهم فى تساؤل ولم ينطق أحدهم بكلمة .. فعاود الصياح فى انفعال أشد :

ـ أين الكاهن ( سنب ) ؟!



ـ إننى هنا يا سيد ( تاوى ) ما الأمر ؟!

أتاه الجواب من خلفه فالتفت فى حدة ليجد الكاهن ( سنب ) واقفًا فى هدوء تلوح فى عينيه نظرات مفعمة بالتحدى ، فخفض من صوته قليلاً وهو يقول بلهجة ما زال الغضب يملؤها :

ـ من الذى أذن للكهنة بحمل جثة الكاهن إلى هنا دون علمى ؟!

أجاب ( سنب ) :

ـ أنا أيها القائد ..

عقد ( تاوى ) حاجبيه وقال محاولاً منع نفسه من الانفجار فى وجه ( سنب ) :

ـ ولكنى لم آذن بهذا أيها الكاهن ..

باستهانة قال ( سنب ) ، وهو يخطو إلى الداخل نحو الكهنة الشبان :

ـ لم أنتظر الإذن أيها القائد ، فديدن الكهنة معروف منذ وجدت الكهانة .. لابد من الشروع فى تحنيط الجثة قبل مرور يوم كامل على فراق الروح للجسد .. وإلا بدأت الأنسجة فى التلف والتحلل ..

بمزيد من الحنق قال ( تاوى ) :

ـ ولكن البحث فى القضية لم ينته بعد ..

وبمزيد من الهدوء رد ( سنب ) :

ـ هذه ليست مسئوليتنا ..

زفر ( تاوى ) بشدة ثم قال مشيرًا بسبابته إلى الكاهن :

ـ إننى أحذرك يا كاهن ( سنب ) !

تظاهر ( سنب ) بالاستغراب وهو يسأل :

ـ مم تحذرنى أيها القائد ؟!

فى بطء أجاب ( تاوى ) :

ـ لا تتحدانى .. ولا تلعب معى هذه اللعبة ..

واشتعلت النيران بين عينيهما من جديد ، وبعد برهة من الصمت ، ساد لغط غير مفهوم بين الكهنة الشبان ، أنهاه ( سنب ) بإشارة من يده ، بينما واصل ( تاوى ) :

ـ والتحنيط لن يبدأ الآن .. فما زلنا فى حاجة لفحص الجثة ..

عقد ( سنب ) ساعديه أمام صدره .. ثم قال :

ـ حسن أيها القائد .. لن نبدأ الآن .. لكن النهار لن يطلع قبل أن نبدأ ..

ثم أضاف :

ـ عفوًا .. إنها معتقدات جنائزية غير قابلة للمس !

قال ( تاوى ) فى حزم :



ـ ليكن ، ستبدأ قبل الشروق .. ولكنى أحذرك ثانية ، كاهن ( سنب ) .. إياك أن تتحدانى ..

واستدار على عقبه خارجًا ، والكاهن ( سنب ) ـ وكذا بقية الكهنة ـ يتابعونه بأبصارهم حتى اختفى تمامًا .. كان ذاهبًا إلى غرفة الكاهن الأكبر من جديد ، آملاً أن تتمخض إعادة الفحص عن نتائج جديدة .. كلا .. ليس هذا ما هو بصدد فعله حقيقة ، إنه يريد إزجاء الوقت حتى يحضر فريق ( لوتس ) الخاص الذى يعقد عليه الأمل .. وليس هناك وسيلة أفضل من العمل .. كان حائرًا ، لا يتصور لهم هيئة ولا طبيعة .. فى الحق أن حالة الانبهار الشديد لم تفارقه منذ عرف الأمر فى الظهيرة .. ومنذ رأى وسمع ما لا يخطر على باله إطلاقًا ..

حاول أن يفكر : كيف سيقابلهم ؟! كيف سيتسنى لهم دخول المعبد برغم الحصار المكثف المضروب من حوله ؟! هل سيستأذنون استئذانًا عاديًا ؟! أم هل ؟!

لا بد أنهم يعرفون ما يفعلون جيدًا .. فلا داعى للعجلة ..

كان قد بلغ البحيرة المقدسة ، يقترب رويدًا رويدًا من الدهليز المفضى لغرفة الكاهن ، عندما سمع صوت الخطوات من خلفه ..

استدار بسرعة ناظرًا محاولاً بعينيه أن يخترق حجب الظلام ، ولكن لم يكن هناك شىء غير عادى .. الغلالة السوداء التى تغلف الجدران والأعمدة ومياه البحيرة إلا من موجات فضية تعكس أشعة القمر ..

هل هو واهم ؟! إنه واثق من سماعها .. خطوات لا يخطئها رجل أمن محترف .. ربما هو التوتر الذى عاناه منذ الصحو حتى اللحظة .. نعم ، يبدو هذا أكثر الحلول منطقية ..

عاد يسير فى طريقه إلى غرفة الكاهن ، وعاد صوت الخطوات يدب من خلفه !

كلا .. لا يمكن أن يكون مخطئًا هذه المرة .. إن هناك من يتبعه متخذًا من الظلام ستارًا ، التفت بسرعة أكبر محاولاً أخذ زمام المفاجأة .. لكن النتيجة لم تختلف كثيرًا .. لا شىء سوى الكائنات الجامدة الغارقة فى سواد الظلمة ..

وقف لحظة يراقب البحيرة وما حولها عساه يعثر على أى علامة دالة على هوية من يتبعه ، وقبل أن يستدير معاودًا المضى فى طريقه ، شعر بكف توضع على كتفه من الخلف ..

من هول المفاجأة استدار فى ذعر وهو يشهق ، وأتاه صوت ( حورى ) قائلاً فى همس :

ـ صه .. اخفض من صوتك !!



ثم أتبعه ( محب ) بقوله :

ـ نحن جنود ( لوتس ) !

وقف ( تاوى ) يلهث وهو ينظر إليهما ، واقفين أمامه يرتديان ثيابًا عادية ، ولما ابتلع الصدمة سأل فى رهبة :

ـ أنتما ؟!

هزّ ( محب ) رأسه بالإيجاب .. بينما استعاد ( تاوى ) رباطة جأشه ، وهو يتفرس فى ملامحهما من قمة الرأس حتى أخمص القدم .. تعجب من كونهما شابين عاديين لا تشى ملامحهما بأية قدرات خاصة تفوق الخيال ، ربما الأول .. أى ( حورى ) .. يبدو مفتول العضلات نوعًا ، لكنه لا يبدو على هذا القدر من التفرد ، كما لا يبدو على ملامح الثانى أى قدر من الألمعية أو البطولة .. إنهما اثنان يرى مثلهما ألف مرة فى شوارع ( طيبة ) كل يوم .. وتذكر أمرًا فسألهما فى جدية همسًا :

ـ كيف دخلتما ؟!

غمزه ( سنب ) وهو يقول مداعبًا :

ـ إن لنا طرقنا الخاصة !

بينما قال ( حورى ) فى جدية تتناسب مع ملامحه :

ـ لا تسألنا كثيرًا أيها القائد عن الطرق التى نتبعها فى العمل ، فقط عليك أن تضع ثقتك فينا ..

تلفت ( تاوى ) حوله ثم أشار لهما أن يتبعاه ، قائلاً :

ـ تعاليا خلفى !

واقتادهما نحو الدهليز الذى تحتل غرفة الكاهن الأكبر مقدمته ، وتوقف ثلاثتهم أمام مدخل الغرفة .. ثم قال ( تاوى ) معرفًا نفسه :

ـ أدعى ( تاوى ) .. قائد شرطة ( طيبة ) ..

ابتسم ( محب ) ، قائلاً :

ـ هذا واضح من زيّك .. وأنا أدعى ( محب ) .. وهذا ( حورى ) ..

ثم ضرب كفه برأسه وهو يقول كمن تذكّر أمرًا مهمًا :

ـ مهلاً .. إن لنا صديقًا ثالثًا سنلقاه هاهنا !

سأل ( تاوى ) فى استغراب :

ـ صديقًا ثالثًا ؟!

قال ( حورى ) مفسرًا :

ـ يعنى أن لنا زميلاً ثالثًا أخبرونى بأننا سنراه هنا ، فنكوّن نحن الثلاثة فريق عمل .. ألم يظهر بعد ؟!



قال ( تاوى ) نافيًا :

ـ كلا ..

أتاهم صوت من خلف ظهورهم يقول :

ـ وها هو ذا قد حضر الآن ..

التفت الثلاثة فى نفس اللحظة نحو قائل العبارة ..

وفى نفس اللحظة ، انعقد حاجبا ( حورى ) و ( تاوى ) ، بينما فغر ( محب ) فاه دهشًا ..

وفى الحق ، كان الأمر يستحق ردود فعل كهذه ..

★ ★ ★

## ٥ ـ انقـــــلاب ..

كانت النيران تتأجج فوق المشاعل المثبتة على جدران الدهليز ، عاكسة دهشة الثلاثة الممزوجة باستنكار ( حورى ) ، واستغراب ( تاوى ) ، وبلاهة ( محب ) !

صاح الأخير :

ـ ربّاه !

وغمغم ( حورى ) فيما يشبه الهمس المكتوم :

ـ ما هذا بحق السماء ؟!

وأمامهم ، كانت تقف شابة يافعة حسناء ، رشيقة القوام ، هيفاء ، ينسدل شعرها الأسود اللامع كشلال على ظهرها ، لكنه مغطى بوشاح أسود يتناسب مع تلك العباءة السوداء التى تغطيها من رقبتها إلى أعلى قدميها ، ملامحها مصرية صميمة ، البشرة القمحية ، العينان الواسعتان ، الشفتان المكتنزتان .. لكن وجودها وظهورها المفاجئ فى هذا المكان وفى هذا الوقت بدوا أمرين فى غاية الغرابة ..

قالت الشابة فى صوت ساحر والبسمه ترتسم على شفتيها :



ـ أدعى ( نفرو ) .. زميلكم الثالث ، بالأحرى زميلتكم الثالثة من ( لوتس ) !

هتف ( محب ) فى انبهار ، وهو لا يزال محدقًا فى ملامحها بعينيه الخضراوين :

ـ يا للجمال !

التفتت إليه تتأمله ، ثم قالت فى حياء ظاهر :

ـ أشكرك !

تمالك ( محب ) نفسه ، ونفض رأسه مزيحًا عنها انبهاره وإعجابه ، ثم نظر إلى ( حورى ) ، قائلاً :

ـ إنهم عباقرة ! هذا ما كان ينقصنا بالفعل !

قالت ( نفرو ) :

ـ أظن هذا .. فقد درست فى ( أون ) العلوم الطبية وأسرار السحر والكهانة مما أتقنه أهل الشمال ، بالإضافة لكونى مقاتلة تم تدريبى على .....

ضحك ( حورى ) ضحكة ساخرة مبتورة ، ثم هزّ كتفيه قائلاً فى سخرية :

ـ مقاتلة ؟! يا للمهزلة ..

نظرت إليه فى جمود وهى تسأله :

ـ أية مهزلة تقصد يا ( حورى ) ؟! أنت ( حورى ) بالطبع .. أليس كذلك ؟!

قال ( حورى ) موجهًا حديثه إلى ( تاوى ) و ( محب ) دون أن يعيرها التفاتًا :

ـ هل عدمت ( مصر ) جنودًا من الرجال حتى يرسلوا لنا امرأة ؟!

قال ( محب ) ، مازجًا الجد بالهزل :

ـ لا تنس أنها ( طبيبة ) أيضًا !

بينما قالت ( نفرو ) مثبتة عينيها على ( حورى ) :

ـ ولِمَ لا ؟! إن الملكة الأم امرأة أيضًا !

التفت إليها قائلاً فى حدة :

ـ لكنها تحكم من قصرها العالى وسط حشود العبيد والوصيفات والموظفين .. ولا تستطيع بتاتًا أن تقود حملة حربية صغيرة إلى أى مكان يعج بالاضطرابات والقلاقل ..

قالت ( نفرو ) فى تحد ظاهر :

ـ هذا رأيك .. ولكن هل بنيته على المشاهدة والبحث والاستقصاء ؟!



ندت عن ( محب ) ضحكة مكتومة ، زادت من حمم الغضب المتفجرة فى أعماق ( حورى ) ، فما كان منه إلا أن هتف بها محاولاً الحفاظ على نبرة صوته الخافتة :

ـ اسمعى أيتها الطبيبة الواثقة من نفسك ، هذا العمل يحتاج إلى رجال .. ووجود امرأة فيه كفيل بتعطيله ، لذا فمن الأفضل أن تعفى نفسك من المهمة وتعودى من حيث أتيتِ ..

ردت ( نفرو ) بنفس لهجة التحدى :

ـ وهل تتصور أننى سأفعل ذلك حقًا ؟!

استفزه تحديها أكثر ، فاحمرت وجنتاه السمراوان ، وهو يهتف بمزيد من الحدة :

ـ أخبرتك أننا لا نحتاج إليك .. لن أستطيع العمل فى وجودك ..

قالت فى ثبات :

ـ إذن فمن الأفضل أن تعفى نفسك أنت من المهمة ، وتعود من حيث أتيت !

عاود الهتاف :

ـ اعتبريه أمرًا ..

قالت فى استهانة :

ـ ومن أخبرك أننى أتلقى الأوامر منك ؟!

كاد السجال بينهما يستمر ويتصاعد ، لكن ( تاوى ) الصامت منذ ظهورها ـ هتف بهما فى حزم :

ـ صَمْتًا .. أنا من يُعطى الأوامر ها هنا .. معلمكم الأكبر (تحوت ) منحنى هذه الصلاحية حتى تنتهى المهمة ..

سأله ( حورى ) وهو يغلى :

ـ وهل توافق على هذه المهزلة ؟!

قال ( تاوى ) مظهرًا الصرامة :

ـ كلا بالقطع ، لذا فاسمعوا ثلاثتكم ما سأقوله ، ماداموا قد أرسلوا (نفرو ) فهى معنا ، فسنعمل معًا كفريق واحد متماسك ، فالوقت ليس فى صالحنا أبدًا ..

وقبل أن يتفوه (حورى ) بكلمة هتف بمنتهى الحزم والحسم :

ـ وهذا أمر لانقاش فيه ..

صمت الثلاثة ، وأخيرًا هز ( محب ) رأسه قائلاً بنفس لهجته الواقفة على الحياد بين الجد والهزل :

ـ أنا موافق !

★ ★ ★

انهمك الكاهن ( سنب ) فى قراءة ورقة طويلة من البردى ، عندما دخل عليه الكاهن ( ماى ) ( متنحنحًا ) ، فرفع إليه رأسه متسائلاً :

ـ لماذا تركت غرفة التحنيط ، كاهن ( ماى ) ؟!



اقترب منه ( ماى ) وهو يقول همسًا :

ـ كاهن ( سنب ) ، إن أمورًا ما تحدث الليلة !

لاحت نظرة تعجب فى عين ( سنب ) وهو يسأله :

ـ أمورًا ؟! أمورًا من أى نوع ؟!

خفض ( ماى ) صوته أكثر وهو يقول :

ـ لدينا غرباء فى المعبد !

سأله ( سنب ) فى تعجب متزايد :

ـ غرباء ؟! كيف ؟!

أجاب ( ماى ) :

ـ سأخبرك ، لقد جاءنا ( كازا ) خادم المعبد مهرولاً إلى غرفة التحنيط ، وأشار إشارات غير مفهومة ، وهمهم كثيرًا بما لم يستطع قوله ، فأخذته وهدأت من روعه قليلاً فأشار إلى أمور ما تحدث أمام غرفة الكاهن الأكبر ، تسللت إلى هناك وسمعت أصواتًا لم أسمعها من قبل ـ من بينها صوت أنثوى ـ تتداخل مع صوت قائد الشرطة ( تاوى ) .. فأتيت من فورى لأخبرك ..

غمغم ( سنب ) فى تساؤل :

ـ من بينها صوت أنثوى ؟! ما هذا الذى يحدث ؟!

قال ( ماى ) متظاهرًا بالذكاء :

ـ يبدو أنهم هنا بشأن الحادث ..

سأله ( سنب ) فى لهجة ذات مغزى :

ـ ألم يقتنعوا بأمر قائد الجيش والنائب ؟!

أجاب ( ماى ) :

ـ إنهم يحاولون التأكد !

هزّ ( سنب ) رأسه مشيرًا إلى فهمه للأمر :

ـ ولهذا طلب تأجيل عملية التحنيط ..

أيده ( ماى ) بقوله :

ـ تمامًا ..

نظر ( سنب ) إلى المجهول مغمغمًا فى ريبة :

ـ أخشى أن .....

ثم صمت وكأنه يخشى إتمام العبارة ، فقال ( ماى ) :

ـ ليس أمامهم إلا الليلة فقط للبحث والتحرى .. فعندما تشرق الشمس ـ على الأكثر ـ سوف يكون الخبر قد عم أرجاء ( طيبة ) ، ولن يصمت العامة على مقتل رمزهم الدينى أبدًا . وعندها سنكون نحن فى موضع القوة ..

وأضاف بلهجة باترة :

ـ كل القوة ..

★ ★ ★



أنهى ( تاوى ) حديثه ، قائلاً :

ـ وهكذا ، فقد رويت لكم ما رأيت وسمعت منذ فجر الأمس محاولاً الحفاظ على أدق التفاصيل الصغيرة ..

قال ( حورى ) فى بساطة :

ـ الأمر واضح .. فقائد الجيش والنائب هما محل الشبهات الوحيد ..

قالت ( نفرو ) معقبة :

ـ أعتقد أن نطاق الشبهات يتسع ليشمل الكاهن ( سنب ) ، الذى من مصلحته أن يموت الكاهن الأكبر ليحل محله ، وكذلك الكاهن ( ماى ) ، الذى ربما اختلق قصة الشجار هذه ، خاصة وأن المتهمين لم يستجوبا بعد ، وقد يكون الأمر حلفًا مقدسًا بين الكاهنين .. من يدرى ؟!

التفت إليها ( حورى ) وقد استاء من رفضها لمنطقه :

ـ الدليل المادى الوحيد يشير لقائد الجيش والنائب ..

قالت فى بساطة :

ـ إنه يثبت وجودهما هنا ليلة الحادث ، لكنه لا يثبت أبدًا ارتكابهما للجريمة ..

تدخل ( محب ) قائلاً فى جدية لم يعهدها :

ـ لنفترض صحة رواية الكاهن ( ماى ) ، إنها تشير لما هو أكثر من جريمة القتل ..

قال ( حورى ) متسائلاً :

ـ تقصد ذلك الأمر الذى دفعها لارتكاب الجريمة ؟!

هزّ ( محب ) رأسه موافقًا وهو يقول :

ـ بالضبط ، الجريمة التى قد تكون أدت لجريمة !

التفت ( حورى ) يسأل ( تاوى ) قائد الشرطة :

ـ لماذا لم يوجه سؤال كهذا إلى قائد الجيش أو النائب ، سيد ( تاوى ) ؟!

ارتبك ( تاوى ) قليلاً حتى أجاب :

ـ نظرًا للوضع الحساس الذى يشغله كل منهما فى الدولة ..

برقت عينا ( محب ) وهتف فى حماس :

ـ نعم .. هذا هو جواب السؤال ..

سألته ( نفرو ) فى عجب :

ـ أى سؤال ؟!

وقف ( محب ) فى منتصف الغرفة التى اقتادهم إليها ( تاوى ) ليكونوا بعيدًا عن المتطفلين والمتلصصين ، وقال فى أسلوب مسرحى :

ـ السؤال يا سادة ، بأسلوب سهل وسلس : ما الذى يمكن أن يجتمع من أجله ثلاثة من أهم أقطاب الدولة فى كل من الجيش والسياسة والدين ؟!



غمغم ( حورى ) كالمأخوذ :

ـ أتقصد ؟!

عاد ( محب ) للهتاف فى أسلوبه المسرحى :

ـ الجواب يا سادة ، بأسلوب سهل وسلس : إقامة دولة جديدة مكان الدولة القديمة ..

وأضاف :

ـ فى كلمة واحدة : انقلاب !

صفقت ( نفرو ) فى إعجاب هاتفة :

ـ استنتاج رائع !

بينما زوى ( حورى ) حاجبيه مغمغمًا :

ـ يبدو الأمر معقولاً للغاية ..

أما ( تاوى ) فقد ظل مشدوهًا للحظة حتى هتف :

ـ ربّاه ! إن هذا لم يخطر فى بالنا قط .. إن هذه بمفردها جريمة عقابها الموت ..

ثم فرقع بإصبعه فى الهواء وهو يقول :

ـ وتستحق أيضًا إصدار أمر سريع بالقبض عليهما ، للتحقيق بشأن جريمة سياسية من الدرجة الأولى ..

انحنى ( محب ) يحييهم مستكملاً أداءه المسرحى ، وهو يقول مداعبًا :

ـ فلنشكر عبقريتى المتواضعة !

قالت ( نفرو ) منبهة :

ـ لكن هذا يبعدنا عن مسار الجريمة الأصلى ..

قال ( تاوى ) وهو يكاد يلهث من فرط الإثارة :

ـ إنه خيط آخر ربما يقودنا للصواب .. الكاهن الأكبر ، وقائد الجيش ونائب وزير الجنوب ، كانوا يدبرون لانقلاب يستولون به على الحكم ، ولما تراجع الكاهن الأكبر عن الاشتراك فى تنفيذ العملية ، هدده الآخران بحياته فى مقابل السير معهم إلى آخر المطاف .. وهكذا ..

قاطعته ( نفرو ) بقولها :

ـ لا تصدر الحكم قبل التأكد ، سيد ( تاوى ) .. إننا لم نشاهد بعد مسرح الجريمة ، ولم نفحص الجثة .. ولم نستجوب أيًا من الكهنة هنا ، وهى أمور من شأنها أن تغير مسار التفكير فى كل الأمور تمامًا ..

قال ( محب ) رافعًا يده :

ـ اتركو لى مسرح الجريمة !

ثم قالت ( نفرو ) :

ـ وسأفحص أنا جثة الكاهن !

واندفع ( تاوى ) يغادر الحجرة وهو يقول :



ـ وعلىّ إصدار أمر القبض فورًا دون تأخير ..

وفور مغادرته ابتسم ( محب ) مخاطبًا ( نفرو ) بقوله :

ـ خذى الحذر ، فالكهنة هنا لم يروا نساءً منذ فترة طويلة ..

سدّدت نظراتها إلى ( حورى ) وهى تقول :

ـ لا تقلق .. أعتقد أن ( حورى ) سوف يصحبنى إلى غرفة التحنيط ..

★ ★ ★

ثبت ( محب ) المشعل فى المكان المخصص له ، المحفور داخل جدار غرفة الكاهن الأكبر .. ووقف يتأمل الحجرة فى روية .. لم يكن قد تغير فيها شىء منذ الصباح ، اللهم إلا جثة الكاهن التى انتقلت لغرفة التحنيط ، وما عدا ذلك فكل شىء كان كما وصفه له ( تاوى ) تمامًا منذ قليل ، حتى بركة الدماء المتخثرة كانت كما هى لم تنظف بعد ..

اتجه نحو صناديق البردى ، واختار منها واحدًا قام برفع غطائه ، وانتقى بضع لفافات قام بفردها فطالعته نفس الرموز الهيروغليفية الصعبة ، كان قد درس اللغات الفرعونية الثلاث الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية ، فلم تكن قراءتها وفهمها بالأمر المستعصى عليه ، لكنه لم يجد فيها ضالته

اتجه نحو صناديق البردى ، واختار منها واحدًا قام برفع غطائه ، وانتقى بضع لفافات ، قام بفردها فطالعته نفس الرموز الهيروغليفية الصعبة ..

المنشودة ، فنحاها جانبًا ووقف للحظة ، ثم اتجه نحو الأركان يتفحصها بعناية كأنه يبحث عن شيء لم يره أحد ..

أعيته المحاولات التي لم تتمخض عن جديد ، فجلس على طرف السرير مستغرقًا في التفكير ، ووقعت عيناه على الصدرية القابعة فوق الخوان المجاور ، أمعن النظر فيها ثم مد يده وأمسكها وأخذ يقلبها بين يديه ، ضيق عينيه وكأنه يفكر في شيء ثم عاد ليضعها فوق الخوان ..

خطرت له فكرة ما ، فنهض ورفع الحشية التي تغطى السرير الخشبي ، وبرقت عيناه وهو يرى ما تحتها .. كان هناك ورقة مفرودة من البردى ، عليها علامات ما ، من الواضح أنها رسمت بسرعة في عجلة شديدة .. رفعها أمام عينيه ـ بعد أن أعاد الحشية إلى مكانها ـ وهو يهتف لنفسه في اكتشاف :

ـ يا إلهي !

كان رسمًا كروكيًا لجزء من ( طيبة ) ، فها هو ذا المعبد وما حوله من حقول ومنازل قد رسمت بالأسود ، وها هو ذا النيل مرسومًا بالأزرق ، وهناك جزء ما ـ لا يبدو بعيدًا عن المعبد حسب مقياس الرسم ـ قد أحيط بخطوط حمراء واضحة .. وبالأسفل هناك عبارة واحدة خطت بالهيراطيقية ( اللغة السهلة المستخدمة كتبسيط للهيروغليفية ) قرأها بصوت مسموع :

ـ « هذه سأعطيك إياها ! »

ثم عاد ( محب ) يهتف :

ـ ترى هل كان يقصد ؟!

لم يجد ما يتم به السؤال .. لكنه سارع بلف الورقة وأخفاها بين ثيابه ، ثم قبض على المشعل بيده وهو يستعد للخروج ..

أزاح الستار وسارع بالخروج ، وهو يحاول السيطرة على انفعالاته ، إن ما اكتشفه كفيل بتغيير الأمور تمامًا ، أو إثباتها تمامًا ، لذا يحتاج الأمر لمشاورة الزميـ .....

لم يستمر فى تفكيره كثيرًا ..

فبعد خطوات قليلة أظلمت الدنيا أمام عينيه .. وسقط مغشيًا عليه ..

ومن خلفه ، برز ذلك الشبح الأسود الممسك بهراوة ثقيلة بيده ..

انحنى الشبح يفتش ثيابه ، بينما سالت الدماء من الجرح فى رأس ( محب ) ، على أرض المعبد ..

★ ★ ★



## ٦ ـ مـــاض ..

وقف ( حورى ) مستندًا بكتفه إلى جدار مدخل غرفة التحنيط ، يراقب ( نفرو ) وهى تفحص جثة الكاهن الأكبر ، ثم نفث من صدره زفير الضيق وهو يتململ سائلاً إياها :

ـ ألم تنتهى بعد ؟! إن الكهنة على وشك العودة ..

أجابته وهى منهمكة فى عملها :

ـ لم يبق إلا القليل ..

قال فى ضجر وهو يرسل ببصره للخارج مراقبًا ساحة المعبد :

ـ أتعشم أن تكونى قد وجدت شيئًا ذا قيمة ..

قالت ويداها تؤديان عملهما فى دقة ومهارة ..

ـ أكثر مما تتصور ..

ثم استطردت وهى تشير إلى الرأس :

ـ انظر هنا .. هناك شجّ خلفى فى الرأس ، وهذا شجّ آخر لا يبعد عن الأول كثيرًا .. وقد سبب الشجين جسم ثقيل واحد ، هراوة فى الأغلب ..

التفت يسألها وقد استطاعت جذب انتباهه :

ـ وما معنى هذا ؟!

ابتسمت فى داخلها وهى تشعر بالظفر ، لكنها أجابته دون أن يظهر لذلك أثر على ملامحها :

ـ يعنى أن القاتل لم يطعن الكاهن الأكبر مباشرة ، بل لجأ أولاً إلى إفقاده الوعى محدثًا هذا الشجَّ .. ثم أفاق الكاهن فعاود القاتل إفقاده الوعى مرة ثانية ، وفى هذه المرة أجهز عليه بهذه الطعنة النجلاء التى اخترقت القلب مباشرة .

سألها ( حورى ) فى اهتمام :

ـ وماذا فعل القاتل طوال هذا الوقت الذى أفقده فيه الوعى ؟!

هزّت كتفيها قائلة :

ـ لا أدرى ، ولكن على أى حال هذا يبعد الشبهات نوعًا عن المتهمين الرئيسيين ..

هرش ( حورى ) رأسه وهو يغمغم :

ـ ليس تمامًا ..

قالت ( نفرو ) وهى تعاود الفحص بيديها الخبيرتين :

ـ لقد كان القاتل يسعى للحصول على شىء ما من داخل الغرفة ، فأفقد الكاهن وعيه وأخذ يبحث عنه ، لكنه لم يجده



عندما أفاق الكاهن من جديد ، فلم يكن هناك بد من أن يضربه فوق رأسه من جديد ، قبل أن يعاجله بخنجر فى ظهره ..

سألها ( حورى ) واهتمامه يتزايد مزوجًا بتفكير عميق :

ـ خنجر ؟!

قالت مواصلة العمل دون توقف :

ـ سلاح الجريمة الذى لم يعثر عليه ، لا هو .. ولا الهراوة .. وأشك فى أن قائد الجيش ونائب الوزير كانا يحملان سلاحين كهذين فى زيارتهما الليلية أمس ..

استغرق فى التفكير الصامت لحظات ، حتى سأل بنفس الاهتمام :

ـ أهذا كل شىء ؟!

أجابته وهى تنفض يديها إيذانًا بانتهاء الفحص :

ـ نعم ، فى الوقت الحالى ..

ورفعت إليه ناظريها ، فلاحظ أنها تنظر لنقطة ما خلف ظهره ، وقبل أن يلتفت ليرى ما تنظر إليه ، قالت فى صوت خافت :

ـ احترس .. هناك من يقترب ..

استدار فى هدوء ليرى الكاهن (سنب) وخلفه الخادم (كارا) حاملاً للمشعل يتقدمان عبر ساحة المعبد الواسعة نحو غرفة التحنيط ، لم يكن يعرفهما ـ حتى هذه اللحظة ـ فتظاهر بعدم الاكتراث .. واستدار ثانية ناظرًا نحو ( نفرو ) مشيرًا لها أن تستمر فى عملها ، فأطاعته مقلّبة بيديها فى الجثة من جديد ، حتى أتاهما صوت ( سنب ) من خارج الغرفة .

ـ مرحبًا بضيوف المعبد ..

استدار إليه (حورى) ناظرًا إليه من أعلى إلى أسفل ، قائلاً :

ـ الشكر لك ..

قال ( سنب ) فى فخر :

ـ أنا الكاهن ( سنب ) ، كاهن ( آمون ) الأكبر باعتبار ما سيكون ..

ثم سأله فى جدية :

ـ وأظن أنه من اللياقة أن أتعرف ضيوفى الليلة .. من أنتما ؟!

نظرت ( نفرو ) بطرف عينها إلى ( حورى ) ، الذى قال من فوره دون تردد :

ـ نحن من شرطة ( طيبة ) ، معاونان للقائد ( تاوى ) ..

سأله بلهجته غير المستحبة :



ـ وأين هو القائد ( تاوى ) ؟!

هزّ ( حورى ) كتفيه ، قائلاً :

ـ ذهب لقضاء شأن من شئونه ، وسيعود من فوره ..

نظر ( سنب ) إلى ( نفرو ) وهو يقول مبتسمًا ابتسامة صفراء :

ـ وهل تعمل فى شرطة ( طيبة ) فتيات ساحرات مثلك ؟!

لم تقل ( نفرو ) شيئًا متظاهرة بالانشغال فى الفحص .. بينما رد ( حورى ) فى سرعة :

ـ ماذا تريد أيها الكاهن ؟!

قال ( سنب ) هازًّا كتفيه :

ـ لا شىء البتة .. لقد أخبرنى الكهنة أنكما طلبتما منهم إخلاء الغرفة لدواعى الأمن .. فجئت لأعرض عليكما المساعدة إن كنتما فى حاجة إليها ..

قال ( حورى ) فى جفاء :

ـ لا نريد أى .....

قاطعته ( نفرو ) قبل أن يتم عبارته ، موجهة حديثها إلى (سنب) :

ـ نشكر لك تعاونك المحمود أيها الكاهن ، هلا سألناك بضع أسئلة قد تساعدنا نوعًا ما !

رمقها ( حورى ) بنظرة نارية ، لكنها لم تلق لها بالاً ، مسددة نظرها نحو ( سنب ) الذى قال فى ترحيب :

ـ أنا دومًا فى الخدمة سيدتى الجميلة !

سألته ( نفرو ) تاركة جثة الكاهن :

ـ ما نوع العلاقة التى كانت تربطك بالكاهن الأكبر ؟

نظر ( سنب ) نحو الجثة الممددة على منضدة التحنيط ، وقال بتأثر :

ـ علاقة أى تلميذ بأستاذه ، ودّ واحترام متبادل !

قال ( حورى ) معترضًا :

ـ لكن فرق العمر بينكما ليس كبيرًا إلى هذا الحد ..

قال ( سنب ) :

ـ هنا فى المعبد يعد الكاهن الأكبر أستاذ الجميع ، حتى لو كان من هو أكبر منه سنًا ..

سألت ( نفرو ) الكاهن ( سنب ) :

ـ هل كنتما متفاهمين ؟!

أجاب ( سنب ) بعد برهة تفكير :



ـ إلى حد معقول .

سأله ( حورى ) محاولاً تضييق الخناق عليه :

ـ أجب بصراحة : هل كنت تحبه ؟!

قال ( سنب ) فى جمود :

ـ كنت أحترمه ، وأقدر مكانته ..

سألته ( نفرو ) وهى تقترب منه واقفة بجوار ( حورى ) :

ـ منذ متى وأنت تعرفه ، كاهن ( سنب ) ؟

تقدم ( سنب ) إلى منضدة التحنيط ناظرًا نحو جثة الكاهن الأكبر ، ثم قال وكأنه يستلهم وحى الذكريات من آبار الماضى العميقة :

ـ منذ زمن بعيد ، وكان دومًا مثار الإعجاب والتقدير لما بيديه من قدرات ومهارات فذة .. ولما يملكه من روح جذابة مسيطرة تخلب الألباب .. وبالإضافة إلى هذا ، فقد كان مثالاً نموذجيًا لفتى من عامة الشعب ، استطاع أن يصل لأعلى المراتب الدينية الشرفية بجهده وعلمه ومثابرته .. إن كل من فى المعبد ، بل كل من فى (طيبة ) ـ إن لم تكن (مصر ) كلها ـ يعرف قصته .. يعرف أن أباه كان فلاحًا بسيطًا نزح إلى (طيبة ) مهاجرًا من (منف ) ، وهو لا يكاد يقدر على إيجاد

قوت يومه .. لكنه فى غضون سنوات قليلة استطاع أن يصبح من النبلاء ، وأن يكون له أرض ومنزل فخم وزوجة جميلة ، استولدها ابنًا وحيدًا هو كاهننا الأكبر ، وعن طريق علاقات الأب القوية برجال الدولة ـ وبالوزير ( سنموت ) شخصيًا ـ التحق الابن بسلك الكهنوت ، ومرت السنون ومات الأب ، لكن الابن استطاع بذكائه أن يصبح رجل الدين رقم واحد فى ( المملكة المصرية ) كلها ..

سألته ( نفرو ) بعد أن تأكدت من فراغه من سرد القصة :

ـ وأين ذهبت أملاك الأب ؟!

قال ( سنب ) وهو يغلق عينيه تأثرًا بما روى :

ـ آلت للابن بالطبع ، لكن أملاك الكاهن تعد دومًا جزءًا من أوقاف المعبد ، حسب التقليد المتبع ، وهو لا يحرم من ريعها شيئًا على الإطلاق !

سأله ( حورى ) ضاغطًا على حروف كلماته :

ـ هذا عنه .. وماذا عنك أيها الكاهن ( سنب ) ؟!

قال ( سنب ) ناظرًا لـ ( حورى ) :

ـ برغم التلميح الذى لا يعجبنى فى سؤالك أيها الشاب ، إلا أننى سأجيبك عنه .. لقد أصبحت كاهنًا بالوراثة ، كان أبى يومًا



أحد كبار كهنة ( آمون ) ، وكان يعدنى منذ وعيت على الحياة لأكون يومًا ما الكاهن الأكبر ..

ثم شرد إلى المجهول وهو يتمتم فى خفوت :

ـ وها قد جاء اليوم ، بعد كثير من الصبر !

صمت مستغرقًا فى شروده ، كأنه يجتر ذكريات الماضى ، فاقتحم عليه ( حورى ) شروده ، قائلاً بلهجة يملؤها الشك :

ـ وتحقق الحلم أخيرًا ..

أفاق ( سنب ) من استغراقه ، وتمتم بنفس الخفوت :

ـ نعم ..

سألته ( نفرو ) مغيرة دفة الحديث :

ـ وماذا عن الكاهن ( ماى ) ؟!

فاجأ السؤال الكاهن ( سنب ) ، فسألها فى غير فهم :

ـ ماذا عنه ؟!

قالت ( نفرو ) موضحة :

ـ أسألك عن رأيك فيه ..

قال ( سنب ) بعد هز كتفيه كالمعتاد :

ـ هو كاهن مجتهد ، وله مستقبل مبشر ، ولو لم أكن موجودًا ، فهو من أقوى المرشحين لتولى منصب الكاهن الأكبر ، على الرغم من حداثة سنه ..

سأله ( حورى ) فى صرامة صارمة :

ـ هل تعتقد أنه قتل الكاهن الأكبر ؟!

استغربت ( نفرو ) نفسها السؤال ، وهى تنظر إلى ( حورى ) فى تعجب ، بينما هزّ ( سنب ) كتفيه للمرة العاشرة وهو يقول فى رصانة :

ـ يمكنك أن توجه له هذا السؤال بنفسك ..

ثم أشار إلى ( كارا ) الممسك بالمشعل ، قائلاً :

ـ هل أرسل ( كارا ) ليحضره إلى هنا ؟!

نظر ( حورى ) إليه ـ إلى ( كارا ) ـ فى تمعن ، بينما تساءلت ( نفرو ) :

ـ أليس هو الذى اكتشف أمر الحادث فجر أمس ؟!

هزّ ( سنب ) رأسه بالإيجاب ، فسأل ( حورى ) فى سخرية :

ـ وكيف ستخبره بهذا الأمر ـ وهو الذى لا يسمع ولا يتكلم ـ ؟! هل ستشير له ؟!

قال ( سنب ) مشيرًا إليه ثانية :

ـ إنه يستطيع قراءة الشفاه !

لاح شبح ابتسامة على شفتى ( نفرو ) وهى ترى ( حورى ) فى هذا الوضع المحرج ، بينما صمت هذا الأخير وأشاح عنهم حانقًا ، عندما ظهر عند المدخل الكاهن ( ماى ) بنفسه ..

هتف الكاهن ( سنب ) :

ـ كاهن ( ماى ) ..



قال الكاهن ( ماى ) بصوته الهادئ العميق :

ـ لن تحتاج لأن ترسل إلى من يأتى بى ..

تلاقت عينا ( نفرو ) و ( حورى ) ، ثم توجهت نحو ( ماى ) تتفرس فيه ، بينما قال ( سنب ) مشيرًا إليهما :

ـ هؤلاء ضيوفنا من شرطة ( طيبة ) !

حياهما ( ماى ) بحنى رأسه ، بينما قالت ( نفرو ) :

ـ هلاّ سمحت لنا ، كاهن ( ماى ) ، بإلقاء بعض الأسئلة عليك ..

قال ( ماى ) دون أن يغير من نبرته :

ـ على الرحب والسعة ، ولكن دعانى أسألكما أولاً : أليس لكما زميل ثالث ؟!

سأله ( حورى ) متحفزًا :

ـ ماذا تقصد ؟!

قال ( ماى ) فى برود :

ـ أجب عن سؤالى أولاً ..

تقافزت شياطين الثورة فى وجه ( حورى ) ، لكن ( نفرو ) سارعت بالقول قبل أن يتفجر الموقف :

ـ نعم .. ماذا حدث ؟!

قال ( ماى ) :

ـ لقد وجدته مغشيًا عليه ، ينزف من جرح فى رأسه على بعد خطوات من غرفة الكاهن الأكبر ، فحملته وداويته .. وأظن أنكما تودان رؤيته ..

هتف به ( حورى ) منفعلاً :

ـ وأين هو الآن ؟!

قال ( ماى ) مشيرًا لهما بيده :

ـ اتبعانى ، وسأريكما المكان .. وهناك فلتسألانى ما شئتما من الأسئلة ..

★ ★ ★

قالت ( نفرو ) وهى تتفحص رأس ( محب ) بيديها من خلال الضمادة التى تلفه :

ـ لقد ضرب على رأسه بجسم ثقيل ، هراوة فى الأغلب ..

بدا الكلام مألوفًا لـ ( حورى ) الذى سدّد نظرات مفعمة بالريبة نحو ( ماى ) الذى وقف ثابت الجنان هادئ الأعصاب ، بينما سأله ( حورى ) :

ـ كيف عثرت عليه ، كاهن ( ماى ) ؟!

قال ( ماى ) دون أن يهتز له جفن :

ـ لقد أخبرتكما أننى كنت أمر هناك ـ من قبيل الصدفة البحتة ـ فوجدته على هذه الحال ..



سأله ( حورى ) فى إلحاح :

ـ وأين كنت ذاهبًا ؟!

قال ( ماى ) :

ـ إلى قاعة نوم الكهنة قادمًا من غرفة الكاهن ( سنب ) ..

سألت ( نفرو ) وهى تسند رأس ( محب ) على وسادة عالية :

ـ وأحضرته وحدك إلى هنا ، لغرفة الكاهن الأكبر ؟!

أومأ ( ماى ) بالإيجاب ، قائلاً :

ـ لقد حملته إلى أقرب مكان يمكننى فيه مداواته ..

علقت ( نفرو ) قائلة :

ـ يبدو أنك بارع فى الطب ، كاهن ( ماى ) ..

قال ( ماى ) ناظرًا إلى ( محب ) الذى ما زال فاقدًا للوعى :

ـ لقد درسته لسنين ..

تدخل ( حورى ) سائلاً إياه :

ـ كاهن ( ماى ) .. أنت الذى رأيت ما دار ليلة الحادث بين الكاهن وقائد الجيش ونائب الوزير ، صحيح ؟!

وافقه ( ماى ) بإيماءة ، فسأله من جديد :

ـ هل تعتقد أن الأخيرين قد فعلاها حقًا ؟!

صمت ( ماى ) للحظة ثم قال :

ـ لا أدرى .. هذا عملكم ..

حاول ( حورى ) أن يناوره ، قائلاً :

ـ أنت محق ، ولكنى أسألك عن رأيك .. ألا تشك فى أن يكون القاتل واحدًا من داخل المعبد ؟!

آثر (ماى ) الصمت محدقًا فى وجه (حورى ) ، الذى أكمل :

ـ الكاهن ( سنب ) مثلاً ..

قال ( ماى ) فى لهجة تقريرية :

ـ لا .. لا أعتقد هذا ..

سألته ( نفرو ) ماسحة بكفها على جبهة ( محب ) :

ـ وهل كنت من المعجبين بالكاهن الراحل ؟!

قال ( ماى ) :

ـ للغاية ..

سألته من جديد :

ـ هل تطمح أن تصل يومًا إلى منصبه ؟!

بالتأكيد !

أدرك ( حورى ) و ( نفرو ) ـ فى نفس اللحظة ـ أنهما لن يخرجا بشىء من هذا الكائن المقتضب ، الذى لاتنم ملامحه عن أى انفعالات ، إنما هى جامدة كلوح من الجليد ، فكفا عن توجيه الأسئلة إليه ..

فاستأذن ( ماى ) فى الانصراف وسمحا له به ..



وفور مغادرته ، نظر ( حورى ) إلى وجه (محب ) المستكين فى وداعة ، وقال :

ـ لابد أنه سيعطينا تفسيرًا وافيًا عندما يفيق ..

ابتسمت ( نفرو ) وهى تقول :

ـ هل تريد أن يفيق الآن ؟!

لم يشعر نحوها بالحنق هذه المرة ، ربما لأنه كان يود ذلك فى أعماقه بالفعل ، ولم تنتظر منه ( نفرو ) الجواب ، وإنما مدت يدها إلى الحزام المحيط بخصرها وأخرجت منه قنينة صغيرة تحوى سائلاً عديم اللون ..

سألها (حورى ) فى فضول :

ـ ما هذا ؟!

فتحت القنينة نازعة السدادة التى تغطيها ، وهى تقول :

ـ حتى تقر بفائدتى بينكما ..

قربت القنينة من أنف ( محب ) وهى تشرح له فى إيجاز ماهية السائل الرائق داخلها :

ـ هذا مستخلص من أعشاب برية قوية الرائحة ، من شأنه أن يحفز .....

توقفت عن الحديث وهى ترى ( حورى ) يرهف السمع لشىء ما لم تستطع أن تتبينه ، فسألته فى استغراب :

ـ ما الأمر ؟!

أشار بسبابته هاتفًا بصوت خافت :

ـ صه ..

واقترب بخطوات خفيفة نحو المدخل المنسدل عليه الستار ، مشيرًا لها أن تستكمل الحديث ، فارتبكت قليلاً وحارت ماذا تقول .. بينما ضرب ( حورى ) قبضته اليمنى فى راحته اليسرى وهو يهتف فى حنق :

ـ تبًا .. لقد ابتعد بسرعة .. لقد فهم أننا سمعناه عندما توقفنا عن الحديث ..

سألته فى استغراب أشد :

ـ من هذا الذى تتحدث عنه ؟!

زفر ( حورى ) فى ضيق .. ثم قال لها مفسرًا :

ـ لقد سمعت صوت خطوات متسللة تقترب من هنا .. إن صاحبها يقصد التجسس علينا ، وبالتأكيد له علاقة وطيدة بما حدث هنا ليلة أمس .

ثم هتف لنفسه فى حسرة :

ـ لو أمسكت به لأمكننا أن نعرف الكثير ..

قالت ( نفرو ) بأسف :



ـ معذرة .. لم أقصد هذا ..

قال مهونًا الأمر :

ـ حسن ، ما عليك .. فلوجودك هنا على الأقل ميزة أخرى ..

ونظر للقنينة التى يسبح بداخلها السائل الشفاف مكملاً :

ـ فسنعرف الآن ما الذى حدث لصديقنا ( محب ) ، وفى هذا كسب لمزيد من الوقت ..

لم تتفوه بكلمة ردًا عليه ، وإنما قربت القنينة ببطء من أنف ( محب ) ، ومع استنشاقه لرائحة السائل النفاذة بدأ يتنبه .. وينتفض ..

حتى ظهرت عيناه الخضراوان ، عندما ارتفع جفناه إيذانًا باستعادته للوعى ..

وابتسمت ( نفرو ) فى حبور ، وهى تنظر نحو ( حورى ) ، الذى ارتسمت أمارات الغبطة على ملامحه ..

ولكن دون أن يبتسم .

★ ★ ★

## ٧ ـ خيـــــوط ..

جلس الوزير ( سيتى ) برداء النوم فـى القاعـة التـى يباشر منها أعماله ومهام منصبـه ، وفرك عينيـه الحمراوين محـاولاً طرد سلطان النعاس المسيطر عليهما ، بينما كان القائد ( تاوى ) يقف أمامه وقفته الثابتة ، قائلاً فى لهجة اعتذار :

ـ آسف لإيقـاظك سيد ( سيتى ) ، لكـن الأمـر لا يحتمـل التأخير ..

تثاءب ( سيتى ) فى كسل وهو يقول :

ـ لقد استيقظت وانتهى الأمر ، وأتمنى أن يكون الأمر خطيرًا إلى هذا الحد ، الذى لا يجعله ينتظر حتى الصباح لتخبرنى به ..

قال ( تاوى ) مضفيًا على حديثه صبغة الأهمية القصوى :

ـ لقد أصدرت أوامرى باعتقال السيد ( باتاو ) قائد الجيش ، والسيد ( بنتاءور ) نائبك يا سيدى !

طـار النعـاس مـن عينـى ( سيتى ) ، وهـو يسـأل ( تـاوى ) هاتفًا :



ـ ماذا تقول ؟!

أعاد عليه ( تـاوى ) عبارتـه ، وظـل ( سيتى ) يحـدق فيـه محـاولاً أن يبتـلع العبـارة بمـا تحمله من معان هى فى الحقيقة ، بالغة الخطورة ، لمدى لا يتصوره أحد ، وبعد لحظات جمد فيهـا الاثنان كأنهما تمثالان من الجرانيت ، غمغم ( سيتى ) متسائلاً :

ـ هل أثبتوا عليهما تهمة القتل ؟!

هزّ ( تاوى ) ، رأسه بالنفى وهو يقول :

ـ كلا يا سيدى ، إنها تهمة مختلفة تمامًا ..

ثم قال يفسر الأمور :

ـ منذ الساعة تقريبًا ، طرحـت الفكـرة ، فذهبـت مـن فـورى متجهًا إلى النـائب ( بنتـاءور ) فى منـزله على رأس كوكبـة من الجنـود ، لكنـى لم أجـده هنـاك ، فتوجهـت إلى قائـد الجيش فى مقره بالقرب من ثكنات ( طيبة ) ، لكنه كذلك لم يكن موجودًا ، فأمرت الجنود ـ على مسئوليتى الشـخصية ـ باقتحـام منزلـه ، وبالتفتيش تأكد الأمر ..

انقبض قلب ( سيتى ) عندما بلغ ( تاوى ) هذه النقطة ، منتظرًا أن يسمع خبرًا سيئًا ، بينما تابع ( تاوى ) وهو يشد قامته :

ـ لقد تأكدنا من أن الثلاثة ـ الكاهن الأكبر وقائد الجيش والنائب ـ كانوا يدبرون خطة للقيام باتقلاب عسكرى سياسى دينى ، يستولون به على حكم ( مصر ) ..

اتسعت عينا ( سيتى ) فى ذهول ، وصمت ( تاوى ) مراقبًا رد فعله ، لكنه لم يزد على ذلك شيئًا ، فاستطرد ( تاوى ) مستعرضًا كل ما أمكنه الحصول عليه من معلومات :

ـ لقد عثرنا على خطابات تبادلها قائد الجيش مع حكام الأقاليم فى الشمال والجنوب والنوبة ، منهم من وافقه ، ومنهم من رفض ، ومنهم من وقف على الحياد ، وقد ذكر فى بعض هذه الخطابات اسمى السيد ( بنتاءور ) ، والكاهن الأكبر الراحل .. وأمكننا استخلاص خطة الانقلاب من واقع هذه الخطابات .. لهذا فقد أطلقت فرقًا من جنود الشرطة للبحث عن قائد الجيش والنائب فى أنحاء ( طيبة ) كلها ، وسوف أوافيكم بالنتائج أولاً فأولاً ..

غمغم ( سيتى ) ذاهلاً :

ـ الأمر أخطر بكثير مما تصوّرت ..

قال ( تاوى ) وهو يومئ برأسه موافقًا :

ـ إنه خطير حقًا ؛ سيدى ..



طال صمت ( سيتى ) هذه المرة ، وكأن المفاجأة قد ألجمت لسانه ، كان يحاول استيعاب فكرة أن نائبه الذى يوليه ثقته العمياء خائن ، فكرة تؤلم بقدر ما تثير العجب ..

طفق ( تاوى ) ينظر للوزير الشارد ، وهو يعلم أثر المفاجأة على نفسه ، ويرثى فى أعماقه له لما كان يعلمه من قدر النائب فى نفس رئيسه ، لكنها طبائع البشر اللعينة ..

تذكر ( سيتى ) أمرًا ، فتجاوز مشاعره وسأل ( تاوى ) فى اهتمام :

ـ وماذا عن مقتل الكاهن ؟!

أجاب ( تاوى ) :

ـ ليس ضدهما أدلة قوية .. لكن فريق ( لوتس ) يعمل جاهدًا للحصول عليها ..

أفرغ ( سيتى ) انفعالاته الدفينة فى تنهيدة طويلة ، وسأله مرة أخرى :

ـ هل توصلوا إلى شىء جديد ؟!

قال ( تاوى ) :

ـ سأعلم فور عودتى إليهم الآن ..

رفع إليه ( سيتى ) ناظريه وهو يقول :

ـ من الأفضل أن ينفك الحصار حول المعبد قبل مطلع الفجر ..

قال ( تاوى ) مؤيدًا :

ـ هذا ما سيحدث بالفعل ، سيدى ..

ثم تردّد قليلاً ، وهو يقول :

ـ ولكن .....

فهم ( سيتى ) ما يرمى إليه .. فقال بحزم :

ـ لو لم تسفر تحريات ( لوتس ) عن شىء قبل بزوغ الشمس ، فالقاتلان معروفان ..

وضغط بشدّة على لفظة ( القاتلان ) ، ثم أضاف :

ـ إنهما مدانان فى جريمة عقابها الموت ، فماذا يضيرهما لو تمت إدانتهما فى جريمة أخرى لها نفس العقاب ؟! إن المحكوم عليه بالإعدام لا يموت مرتين !

سأله ( تاوى ) ، مستفهمًا بلهجة يشوبها الحذر :

ـ هل أعفى الفريق من المهمة ، سيد ( سيتى ) ؟!

قال ( سيتى ) نافيًا :



ـ كلا .. لا تفعل ، اتركهم يعملون ، فربما تغير مسار القضية تمامًا ..

ثم شخص ببصره إلى اللانهاية وهو يسأل متمتمًا :

ـ من يدرى ؟!

★ ★ ★

هتف ( حورى ) مرددًا ما قاله ( محب ) فى عجب :

ـ بردية تحت حشية السرير ؟!

قالت ( نفرو ) معلقة :

ـ الأمور تتعقد أكثر ..

تحسس ( محب ) مكان الإصابة فى رأسه ، وهو يقول :

ـ إن أصابع الاتهام تبتعد عن قائد الجيش والنائب ..

سأله ( حورى ) :

ـ ولِمَ ؟! ألا يحتمل أنهما كانا يبحثان عن هذه البردية بالذات ؟!

قال ( محب ) محاولاً أن يتغلب على آلام الإصابة :

ـ لا أظن أن هناك ما يغريهما فى رسم ساذج لقطعة من الأرض الزراعية القريبة من النيل !

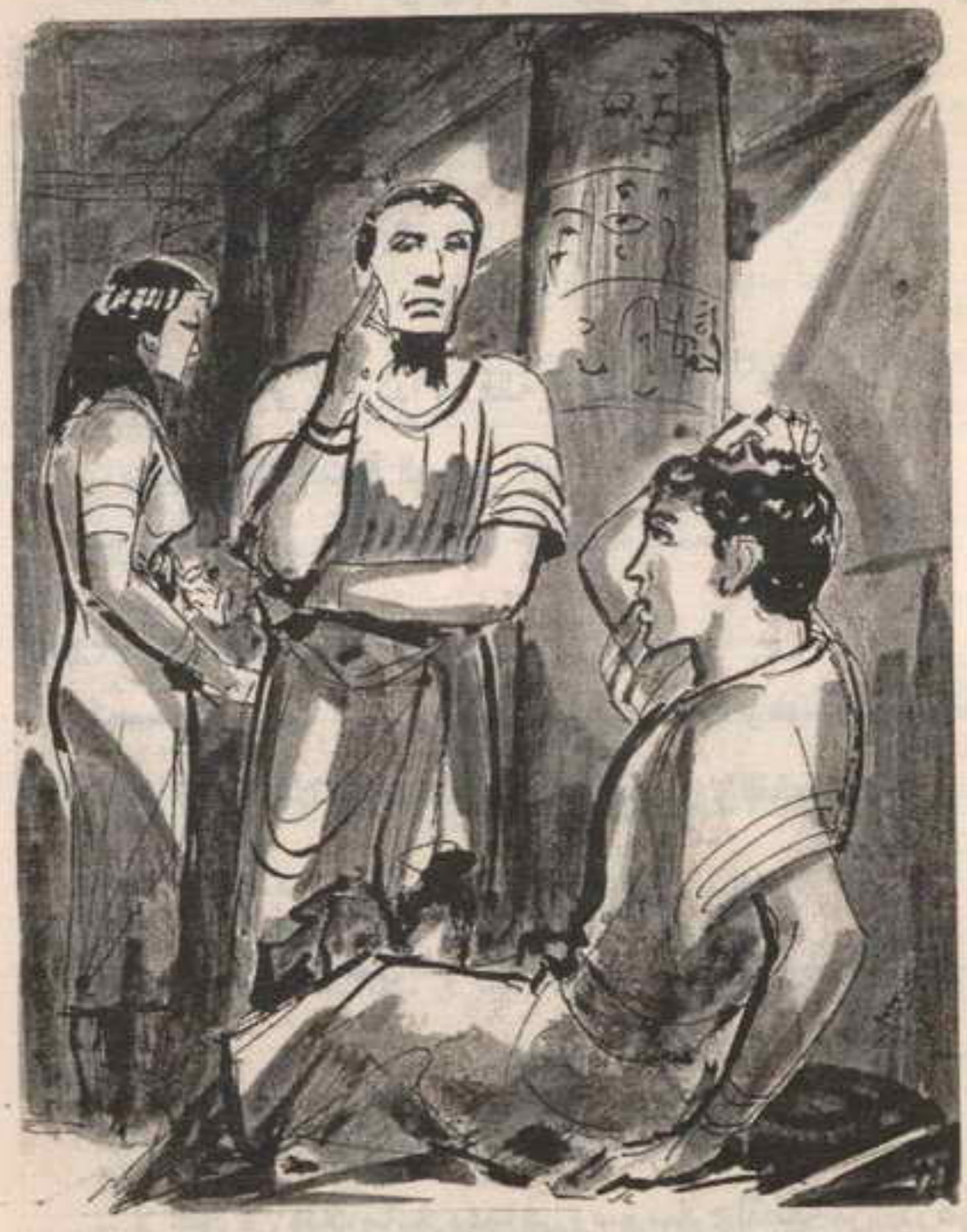

تحسس (محب) مكان الإصابة فى رأسه ، وهو يقول :

ـ إن أصابع الاتهام تبتعد عن قائد الجيش والنائب ..

هرش ( حورى ) فى رأسه وهو يقول كأنه يعصر أفكاره :

ـ ربما ..

لكن أفكاره كانت جافة كليمونة معصورة .. بينما قالت ( نفرو ) :

ـ السؤال هو : من له مصلحة فى بردية كهذه ، حتى يقتل من أجلها الكاهن ، ويضرب ( محب ) فوق رأسه ليسرقها من بين ملابسه ؟!

قال ( محب ) :

ـ لو طابقنا ما رويتموه من استنتاجات بشأن فحصكم للجثة ، وما حصلت أنا عليه ، نجد أن القاتل قد ضرب الكاهن فوق رأسه ، لكنه لسوء حظه وقع فوق السرير ، وأخذ القاتل يبحث عن البردية فى أنحاء الغرفة حتى أفاق الكاهن مرة أخرى ، فضربه مرة أخرى ، ورأى من الأسلم أن يقتله حتى لاينكشف السر ..

قال ( حورى ) مفكرًا :

ـ ما زال هناك الكثير من النقاط الغامضة ..

قالت ( نفرو ) مبتسمة :

ـ لكنه تصور موفق ..

بادلها ( محب ) الابتسام ، قائلاً :

ـ الشكر لك ..

مطّ ( حورى ) شفتيه ممتعضًا .. ثم قال كأنه يفكر بصوت مسموع :

ـ لو نظرنا للمشتبه فيهم ، فهما الكاهن ( سنب ) ، والكاهن (ماى ) .. والاثنان لهما دافع لا يتناغم مع قصة البردية هذه .. فدافع كل منهما هو التطلع نحو منصب الكاهن الأكبر ..

قالت ( نفرو ) مشاركة إياه فى التفكير :

ـ ربما قد دبر ( ماى ) هذه القصة كلها من أجل أن يموت الكاهن الأكبر ويتهم الكاهن (سنب ) بقتله ، فيخلو له المنصب ..

قال ( محب ) يشاركهما :

ـ معقول جدًا .. إنه قد كشف قصة قائد الجيش والنائب ، ثم اختلق قصة البردية ليوجه أنظارنا نحو الكاهن ( سنب ) ..

هزّ ( حورى ) رأسه وكأنه يرفض فكرة ما :

ـ ولكنه لم يكشف عن نفسه بهذه البساطة ، خاصة وأنه المشتبه فيه الأول فيما حدث لك يا ( محب ) .. ألم يكن من الأفضل له أن يتركك تنزف ، أو حتى أن يقضى عليك ، أفضل من حملك وتضميد رأسك ؟!



قال ( محب ) معللاً :

ـ هذا أدعى لأن نسقطه من حساب المشتبه فيهم ..

غمغمت ( نفرو ) فى خفوت :

ـ أو أن له دهاء الشياطين !

قال ( حورى ) فى ضيق :

ـ من الأفضل أن نوحد مسار تفكيرنا ..

قالت ( نفرو ) تلخص الأمور :

ـ حسن ، لنستعرض ما لدينا هنا .. أولاً : الكاهن الأكبر يقتل ، ويرى الكاهن (ماى ) شجارًا بينه وبين قائد الجيش ونائب وزير الجنوب ، يتضح فى النهاية أنها ـ فى الأغلب ـ خطة للانقلاب على سلطة الحكم فى ( مصر ) .. ثانيًا : الكاهن الأكبر ضرب فوق رأسه مرتين قبل أن يطعن فيخر صريعًا .. ثالثًا : بنفس الطريقة يضرب ( محب ) ليظهر بعدها الكاهن (ماى ) معالجًا له ، بينما كان الكاهن ( سنب ) معنا فى غرفة التحنيط .. رابعًا : من مصلحة الكاهن ( سنب ) أن يقتل الكاهن الأكبر للحصول على منصبه ، ومن مصلحة ( ماى ) أن يطيح بالاثنين ليعتلى بمفرده عرش الكهانة فى معبد ( آمون ) .. خامسًا : تلك البردية التى تحمل تخطيطًا باللون الأحمر لمكان ما ـ هو فى الغالب أرض زراعية ـ قرب النيل جنوب المعبد ..

التفت إليها ( حورى ) مضيفًا :

ـ نسيت نقطة مهمة .. تلك الخطوات التى سمعتها منذ قليل ..

قالت فى محاولة للتفسير :

ـ إنه أحدهما فى الغالب يحاول التجسس علينا ..

ران الصمت بين الثلاثة ، وارتسمت على وجه ( حورى ) أقصى أمارات الجدية والتفكير ، بينما عاد ( محب ) يتحسس إصابته ، وراحت ( نفرو ) تذرع الغرفة ذهابًا وجيئة ..

كسر ( محب ) جدار الصمت فى النهاية بقوله :

ـ أشعر أننا نسير فى الاتجاه الخاطئ ..

غمغم ( حورى ) فى حيرة :

ـ يساورنى نفس الشعور ..

سألت ( نفرو ) :

ـ وماذا الآن ؟!

عاد ( حورى ) يغمغم :

ـ هناك عدة حلقات مفقودة ..

والتفت نحو ( محب ) ، قائلاً :



ـ ( محب ) ، لا بد أن ذاكرتك ما زالت تحتفظ بمعالم الرسم المدون فى البردية ..

قال ( محب ) مؤمنًا على قوله :

ـ إلى حد ما ، ولكن لماذا ؟!

سأله ( حورى ) فى لهفة ، وكأنه يتشبث بطوق نجاة :

ـ كم ـ بالتقريب ـ تبعد حدود المنطقة المحاطة باللون الأحمر عن المعبد ؟!

اعتصر ( محب ) ذاكرته ، قبل أن يجيب وهو يحاول تخيل الرسم الذى رآه قبل فقدانه للوعى :

ـ حوالى ٣٠٠ ذراع جنوب المعبد من ناحية النيل .

سألته ( نفرو ) متحفزة :

ـ هل ستذهب إلى هناك ؟!

وقبل أن يجيبها ، رفع قائد الشرطة ستار الحجرة داخلاً ، وهو يقول :

ـ هأنذا قد جئت .. ما الجديد ؟!

لم يكن الأمر يستحق السؤال ، فقد رأى الضمادة الملتفة حول رأس ( محب ) ، وحالة التحفز التى تكتنف ( حورى ) و ( نفرو ) .. ولكن كانت تنقصه التفاصيل ..

قال ( حورى ) فى عجلة وهو يستعد لمغادرة الغرفة :

ـ سيخبراتك بكل شىء ، أما أنا فأمامى مهمة عاجلة ..

هتفت به ( نفرو ) :

ـ انتظر ، سوف أذهب معك ..

قال ( حورى ) وهو يرفع ستار المدخل ، فى شىء من الخشونة :

ـ بل ستبقين هنا .. وجودك ـ هذه المرة ـ سيعطلنى بالفعل ..

رضخت دون أن تلجأ لعنادها المعهود فيها ، وهى نفسها تعجبت لهذا الأمر ، بينما قال ( تاوى ) مخاطبًا إياه :

ـ لا تتأخر ، لقد تجاوزنا منتصف الليل بقليل ، والمهمة ستنتهى رسميًا قبل الفجر ..

التفت إليه ( حورى ) برأسه ، وهو يقول :

ـ لاتقلق ، سيد ( تاوى ) .. ستنتهى المهمة فور عودتى ..

ولن أغيب لأكثر من ساعة .. ثم قال بلهجة تفيض ثقة :

ـ أشعر بأن القاتل أضحى قريبًا .. قريبًا للغاية ..

★ ★ ★



الأرق اللعين !

لم يستطع ( تيتى ) النوم .. تقلب فى فراشه كثيرًا حتى فاض به الكيل من شخير زوجته المتعالى المنغَم ، فنهض واضعًا قدميه فى خُفَه البالى ، وخرج إلى صحن الدار متعثرًا فى جسد ابن أخت زوجته ، الذى افترش الأرض نائمًا ، مصدرًا نفس الإزعاج الذى تصدره خالته الغارقة فى بحور النوم .

لعن كليهما فى سره ، وفتح الباب خارجًا إلى الحقل ليستنشق بعضًا من هواء الليل النقى المشبع برطوبة شهر الفيضان .. تبلل خفاه وهما يغوصان فى الطمى الذى تعلوه المياه بمستوى لا بأس به ، لقد أغرق فيضان هذا العام أرضه وما يحوطها من أراض مجاورة ، ولم يكن هذا فى حسبان أحد من الجيران ، فلم يبنِ أحدهم سدًا ، ولو من الخوص ، ليحمى أرضه من غضب ( حابى ) الذى لا يرحم .

ملأ صدره من هواء الليل العليل ، ورفع بصره للسماء ، ناظرًا للقمر الذى بدأ رحلة التلاشى من فوق صفحة السماء السوداء ، ليعود فيبدأ رحلة اكتمال جديدة ، وهكذا ..

وقبل أن يعود أدراجه إلى جوار زوجته ، التى تعزف بأنفها موسيقى الليل الشجية ، سمع صوت أقدام تغوص فى الطين ، لكنه لم يدر من أين ..

بدأت الوساوس تلهو فى رأسه .. هل هو لص ؟! وما الذى يغرى لصًا بسرقة بقرتين هزيلتين هما كل ما يملك الآن ، وأمامه القصور والحقول المليئة بالخيرات على امتداد ( طيبة ) ؟!

من عساه يكون إذن ؟!

هل يكون شبحًا من أشباح الليل المرعبة ؟! كلا .. إنه لا يؤمن بهذه الخزعبلات ..

هل هو جندى من الشرطة ؟! ولكن لماذا ؟! وهو إنسان وديع مسالم مع كل الناس ؟!

كلها احتمالات ضحلة ، فمن إذن هذا الذى يخطر فى حقله فى مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل البهيم ؟!

إن الصوت يأتى من ناحية الفناء الخلفى للمنزل ، ذلك الذى يطل على القسم الجنوبى من الحقل ، لقد كان الفيضان هذا العام قويًا ، حتى إنه غطى الحقل بكل أقسامه ، ولولا أن المنزل مرتفع قليلاً عن الأرض ، لأتى عليه فى غمار عتوه وطغيانه ..

ما زال الصوت مستمرًا ، يتضح شيئًا فشيئًا ، لا مفر من التحلى ببعض الشجاعة والذهاب لاستبيان الأمر ..



بخطوات ثقيلة ـ من أثر الوحل والخوف ـ مشى محاولاً خفض صوت خطواته المسموع على الرغم منه ، وعندما بلغ الفناء الخلفى ، لمح شيئًا ما ، يقف فى وسط الحقل .

لم يعِنْهُ الظلام على معرفة كنه هذا الشىء .. ولكنه مع الإمعان فى النظر تبين ملامحه الآدمية .. إنه رجل متين البنيان يقف وسط نباتات الحقل الغارقة ، يراقب المنطقة من حوله باهتمام شديد ..

ـ يا صاح ، من أنت ؟!

نادى ( تيتى ) الرجل محاولاً أن يبدو شجاعًا مخيفًا ، فالتفت إليه الرجل هاتفًا :

ـ أنا ؟!

سحقًا لك من لعين !! وهل هناك غيره هنا ؟! تظاهر ( تيتى ) بالصلابة وهو يتقدم سائلاً إياه :

ـ هل أنت غريب عن هذه الناحية ؟!

قال الرجل ـ الذى لم يكن سوى (حورى) ـ متظاهرًا بالارتباك :

ـ يبدو أننى أخطأت المكان ، لقد قصدوا ذلك الحقل بكل تأكيد !

وأشار إلى الحقل ، الظاهر من خلف سور حقل ( تيتى ) ، كان قد أغرقه النيل أيضًا ، فقال (تيتى) محاولاً استجلاء ملامح محدثه ، التى لا يظهر منها على ضوء القمر إلا النزر اليسير .

ـ ولكنها أرض تخص معبد ( آمون ) ..

قال ( حورى ) كأنه لم يعرف شيئًا جديدًا :

ـ أعلم هذا ، ولكنهم يفكرون فى بيعها بعدما حدث ، انظر ، لقد أغرقها الفيضان ..

سأله ( تيتى ) فى استنكار :

ـ وهل ستشتريها ؟! وهى على هذه الحال ؟!

قال ( حورى ) متمثلاً دور التاجر الذكى :

ـ يومًا ما سينحسر عنها الفيضان ، وهى الآن ذات سعر منخفض للغاية ..

هزّ ( تيتى ) رأسه متفهمًا ، ثم قال :

ـ تفكير جيد ، لكن الفيضان سيتلفها لأعوام كثيرة قادمة ..

سأله ( حورى ) فى استهانة :

ـ وما أهمية الوقت ؟!

هزّ ( تيتى ) رأسه فى قوة أكبر ، وهو يقول :



ـ أفهمك تمامًا .. لقد كانت هذه الأرض يومًا مفتاح السعد لأحد نبلاء ( طيبة ) ، ثم آلت للمعبد عندما مات هذا النبيل ، لأن ابنه كان كاهنًا فيه ، وهو اليوم كاهنه الأكبر !

كان ( حورى ) يسمع هذا الحديث لأول مرة .. لكنه أجاد التظاهر بأنه يعرف ما يقوله ( تيتى ) ، وهو يهز رأسه علامة الموافقة و ( تيتى ) يستمر ، قائلاً :

ـ لقد كنت أعمل عند هذا النبيل ، ومنحنى هذا الحقل قبل أن يموت ليصبح ملكًا لى ، تقديرًا لأمانتى وإخلاصى فى خدمته ..

أظهر (حورى ) اهتمامه بما يقول (تيتى ) ، بينما كان عقله يعمل بسرعة محاولاً ربط الأمور بعضها بالبعض ، ولكن ما زالت هناك حلقات ناقصة .. فبادر بسؤال ( تيتى ) :

ـ وهل كنت تعرف هذا النبيل جيدًا ؟!

قال ( تيتى ) متفاخرًا :

ـ أقول لك إنه كان يرعانى كابن له ، حتى إنه منحنى جزءًا من أملاكه ! كان دومًا يقول لى : لقد عوضتنى السماء خيرًا عن الابن المفقود !

عقد ( حورى ) حاجبيه وهو يتساءل فى تعجب حقيقى :

ـ ولكن ابنه لم يفقد ..

قال ( تيتى ) :

ـ من الواضح أنك غريب عن هذه الديار بالفعل .. إن (طيبة ) كلها تتحدث عن ذلك النبيل الذى فقد أفراد أسرته عندما ذهب ليحارب فى ( الشام ) ، وعاد فلم يجد لهم أثرًا ، فهاجر إلى هنا وكون أسرته الجديدة التى كان الكاهن الأكبر فيها هو الابن الوحيد ..

برقت عينا ( حورى ) وكأن حلقة مهمة قد استكملت فى عقله ، بينما قال ( تيتى ) فى ترحيب :

ـ لِمَ لا تشرفنى بالزيارة فنحتسى معًا قدحين من الجعة ، إن النوم عسير فى هذه الليلة ، وليس أفضل من الرفقة فى ...

هتف ( حورى ) به فى انفعال :

ـ أشكرك بشدة يا سيدى ، لقد أكرمتنى أكثر مما تتصور ..

وأسرع ينصرف من أمامه ، حتى ابتعد مختفيًا فى الظلام الدامس ، بينما هزّ ( تيتى ) رأسه يمنةً ويسرةً وهو يضرب بكفيه ، قائلاً لنفسه :

ـ يا لهؤلاء الغرباء الغريبى الأطوار !!

بينما خف (حورى ) متجهًا إلى المعبد من جديد ، وفى رأسه تولد فكرة مجنونة ، إلى أقصى حد ..

★ ★ ★



## ٧ ـ نـــــزاع ..

نزعت ( نفرو ) الضمادة من فوق رأس ( محب ) ، وطهرت مكان الجرح بمحلول خاص تحمله فى الحزام حول خصرها ، ثم بدأت تلف ضمادة جديدة فوق الجرح ، بينما ابتسم ( محب ) قائلاً :

ـ لماذا تضعين ضمادة جديدة ؟! أعتقد أن الجرح قد التأم بمجرد لمسك له !

ردت دعابته قائلة :

ـ لو سمعك ( أمحوتب ) لثار غاضبًا ، فأنت تحطم كل قوانين الطب المعروفة ..

فرغت من لف الضمادة ، بينما استمر ( محب ) فى المزاح قائلاً :

ـ سوف أقدم اقتراحًا لمجلس الآلهة بتنصيبك إلهًا للطب بدلاً منه ، أعتقد أنك الأحق ..

احمر وجهها خجلاً ثم قالت :

ـ لا تبالغ ، إنها مهارات عادية ..

لم يبتسم ( تاوى ) لدعاباتهما ، وانشغل بقضم أظفاره ترقبًا لعودة ( حورى ) الواعدة بالكثير ، لاحظ ( محب ) حاله هذا فمال عليه قائلاً :

ـ لا تقلق ، قائد ( تاوى ) ، سنفعلها فى الوقت المناسب ..

قالت ( نفرو ) فى قلق :

ـ لديه حق يا ( محب ) ، أعتقد أنه تأخر ..

قال ( محب ) محتجًا :

ـ ما زلنا مبكرين ..

غمغم ( تاوى ) :

ـ بقى أقل من ساعة على الفجر !

انعقد حاجبا ( محب ) وهو يسأل فى توتر :

ـ حقًا ؟!

قالت ( نفرو ) مدارية توترها وعصبيتها بغلاف من الحماسة :

ـ أعتقد أنه ذهب إلى المنطقة المرسومة بالبردية ، سوف أذهب إلى هناك للاطمئنان !

أوقفها ( تاوى ) بإشارة من يده قائلاً فى صرامة :

ـ كلا ، المهمة انتهت رسميًا !



هتف ( محب ) باستنكار :

وقالت ( نفرو ) معترضة :

ـ الشمس لم تشرق بعد ..

بمزيد من الصرامة قال ( تاوى ) :

ـ الأوامر تقول : إن المهمة ستنتهى قبل الفجر ، ولم تعط ميعادًا محددًا لذلك ..

قال ( محب ) منفعلاً :

ـ هذا أدعى لأن ننتظر قليلاً ..

صاح ( تاوى ) :

ـ إلى متى ؟!

حاولت ( نفرو ) أن تلطف الجو قائلة فى هدوء :

ـ هدئ من روعك ، سيد ( تاوى ) .. أمهلنا نصف ساعة أخرى فحسب ..

قلب ( تاوى ) عينيه بين ( نفرو ) و ( محب ) ، ثم ألقى بجسده المنهك فوق السرير ، وهو ينظر إلى بركة دماء الكاهن الأكبر المتخثرة ، ثم يقول :

ـ حسن ، نصف ساعة أخرى لن تضر .

ثم وجه حديث إليها قائلاً فى تحذير :

ـ ولكن نصف ساعة فحسب ..

قالت ( نفرو ) فى تفهم :

ـ إنها أكثر من كافية ..

هتف بها ( محب ) وهو يجلس من رقدته فوق السرير :

ـ ولكن هل سنقف خلالها مكتوفى الأيدى هكذا ؟!

التفت إليه ( تاوى ) سائلاً :

ـ وماذا نستطيع أن نفعل ؟!

لم يجد ( محب ) ما يقوله ، فتبادل مع ( نفرو ) نظرة ملؤها خيبة الأمل ..

حقًا ، لا يوجد ما يستطيعون فعله حتى عودة ( حورى ) .. إلا الانتظار ..

★ ★ ★

اقترب الكاهن ( ماى ) فى خطوات متئدة متسللة من غرفة الكاهن الأكبر ، وتوقف على بعد خطوات قليلة من المدخل ، وهو يرهف السمع لما يدور من جدال عنيف داخلها ، عندما كان القائد ( تاوى ) يصيح :



ـ إلى متى ؟!

كانت الظلال ترتمى على الستار كما فى مسرح خيال الظل ، وفجأة ، وجد ( ماى ) يدًا توضع على كتفه من الخلف ، فشهق فى فزع وهو يستدير ليجد أمامه ( حورى ) يبتسم فى ظفر وهو يسأله هامسًا فى لهجة ملؤها سوء الظن :

ـ ماذا تفعل هنا ، كاهن ( ماى ) ؟!

أسقط فى يد ( ماى ) ، وغمره الارتباك وهو يقول متلعثمًا :

ـ كنت .. أنا .. جئت لأخبر الـ .. فى داخل .. أن ( سنب ) ..

ربت ( حورى ) على كتفه وهو يقول :

ـ هون على نفسك .. ما الأمر ؟!

قال ( ماى ) متخليًا عن قسماته الثلجية فى لهجة جزع :

ـ أرجوك ، لا تظن فىّ السوء ..

عقد ( حورى ) ساعديه أمام صدره قائلاً :

ـ أنتظر منك تفسيرًا مقنعًا !

نظر ( ماى ) فى الأرض للحظة وهو يغالب توتره ، ثم رفع رأسه قائلاً فى استسلام :

ـ أعلم سوء موقفى الآن ، ولكن كنت قادمًا لاستئذان السيد ( تاوى ) فى أن نبدأ فى تحنيط الجثة ، بتكليف من الكاهن ( سنب ) ، يمكنك سؤاله لو أردت ..

سأله ( حورى ) وهو يتعمد الضغط على أعصابه :

ـ ولماذا أراك إذن واقفًا هنا ؟!

قال ( ماى ) فى أسف :

ـ إنه خطأ أعتذر عنه ..

أشار ( حورى ) إلى الستار الذى يغطى المدخل قائلاً والابتسامة الظافرة لاتفارق شفتيه :

ـ هل تعلم أن هذا الستار رائع ؟ تستطيع فى الخارج أن تشاهد ظلال من فى الداخل ، ولكنك أبدًا لا تستطيع العكس ..

نظر ( ماى ) إلى حيث يشير ، ثم قال مفسرًا :

ـ إنها قاعدة بسيطة ، فالدهليز مظلم والغرفة مضاءة بنيران المشاعل ، ولا يستطيع من يقف فى النور أن يرى من يقف فى الظلام ..

أصابت العبارة هدفها فى عقل ( حورى ) ، وأضاءت ركنًا مظلمًا فى جنبات خواطره ، فسدد نظراته إلى ( ماى ) قائلاً :



ـ كاهن ( ماى ) هل للكاهن الأكبر هنا سلطة تعيين كاهن آخر ؟!

نظر إليه ( ماى ) مستفهمًا ، فسأل بصورة أوضح :

ـ بعبارة أخرى ، هل يستطيع الكاهن الأكبر أن يأتى بشاب ويضعه فى منصب كاهن ؟!

هز ( ماى ) رأسه فى قوة وهو يقول :

ـ كلاً بالقطع ، إن الترشيح فى سلك الكهانة أمر صعب للغاية ، ويحتاج لاجتياز مراحل متعددة من الاختبارات العقلية والجسدية البالغة الصعوبة ، ولكن الكاهن الأكبر يستطيع فقط أن يزكى أحدهم ..

سأله ( حورى ) مُضيقًا عينيه :

ـ وماذا عن العمال والموظفين بالمعبد ؟!

قال ( ماى ) وكأنه يردد سطورًا محفوظة من كتاب :

ـ هؤلاء لا يعيَّنون إلا بأمر الكاهن الأكبر ، وفى الغالب هو الذى يختارهم ..

اتسعت ابتسامة الظفر على شفتى ( حورى ) ، وعاود التربيت على كتف ( ماى ) قائلاً :

ـ هكذا تتضح الأمور .

سأله ( ماى ) فى ارتياب :

ـ أى أمور ؟!

قال ( حورى ) فى لهجة آمرة :

ـ أرسل ( كارا ) ليحضر الكاهن ( سنب ) ، ثم اتبعنى إلى الداخل ..

تركه وأزاح الستار داخلاً ، فوجد أعين ( نفرو ) و ( محب ) و ( تاوى ) مسلطة على وجهه ، فى نظرات أمل أخير ..

★ ★ ★

( محب ) فقط ، كان راقدًا على سرير الكاهن الأكبر نظرًا لإصابته ..

أما الباقون ، فجميعهم كانوا واقفين ..

( نفرو ) و ( تاوى ) و ( حورى ) فى جانب ..

و ( ماى ) و ( سنب ) وخلفهما ( كارا ) فى الجانب المقابل ..

وكان ( سنب ) هو أول من تحدث قائلاً :

ـ ما الأمر هذه المرة ؟!

قال ( حورى ) مناورًا :



ـ لا تتعجل أيها الكاهن ، تحلَّ بالصبر الجميل !

قال ( سنب ) فى ضجر :

ـ الفجر على وشك الانبلاج ، ولا بد من الشروع فى تحنيط جثة الكاهن الأكبر قبل ..

قاطعه ( حورى ) قائلاً :

ـ ليس قبل العثور على القاتل الحقيقى ..

سأله ( سنب ) فى حرص :

ـ وهل عثرتم عليه ؟!

قال ( حورى ) فى هدوء :

ـ بالطبع ، وهو يقف معنا الآن فى هذه الغرفة ..

ابتلع ( سنب ) ريقه فى صعوبة ، بينما سرت قشعريرة باردة فى خلايا ( ماى ) ، و ( حورى ) ينقل بصره بينهما ، فى حين قال ( تاوى ) معجلاً :

ـ يحسن أن تخبرنا على الفور ..

قال ( حورى ) :

ـ حسن ، لنبدأ القصة من بدايتها الطبيعية ..

سألته ( نفرو ) :

ـ الليلة الماضية ؟!

قال ( حورى ) نافيًا :

ـ كلا ، بدايتها الطبيعية كانت منذ سنوات بعيدة فى ( منف ) ..

لاح التعجب فى وجوه الجميع ، و ( حورى ) يتابع مستطردًا :

ـ منذ عاد ذلك الفلاح البسيط من الحملة العسكرية التى اقتادوه ليحارب فيها ، فلم يجد أسرته الصغيرة ، فشد الرحال إلى ( طيبة ) ليصبح واحدًا من نبلائها ، ولينجب ابنًا يصبح ـ بعد وفاته ـ الكاهن الأكبر لمعبد آمون ..

حدق فى وجه ( سنب ) لحظة ، ثم تابع :

ـ وهنا أيها السادة ، يحدث أمر مستغرب ، وهو ظهور أحد أبناء النيل الطيبين من أسرته المنفية القديمة ، أتى هنا ـ بعد أن دارت به السنون ـ ليقابل أخاه ، كاهن معبد آمون الأكبر ، فأكرمه الكاهن وقربه إليه وعيَّنه فى المعبد ، ولكن الوقت جاء ليكتشف الأخ أن له إرثًا ضائعًا قد أصبح جزءًا من أوقاف المعبد ، كما تقضى بذلك الأعراف المتبعة .. وهكذا ينشأ النزاع حول الإرث ، لينتهى بالمأساة الأليمة :

الأخ يطعن أخاه فى مقتل ..



وصمت للحظة متطلعًا إلى الاهتمام المرتسم بشدة على وجوه الواقفين ، ثم قال بلهجة حاسمة :

ـ الأخ الذى أقصده أيها السادة ، هو ( كارا ) .. خادم المعبد الأمين ..

اتجهت الأبصار خلف كتفى ( سنب ) و ( مـاى ) ، نحو ( كارا ) الممتقع الوجه فى ذعر شديد ، بينما تابع ( حورى ) تحليله المنطقى المتسلسل :

ـ لقد عين ( كارا ) خادمًا للمعبد منذ عام ، فور قدومه لمقابلة الكاهن الأكبر معرفًا إياه بنفسه ، وقد تكتم كل منهما أمر الأخوة التى تربطهما حتى يكفيا نفسيهما شرور القيل والقال ، ولكن ( كارا ) ـ الذى حاز تعاطف وشفقة الجميع لأنه أصم أبكم ـ اكتشف أن له إرثًا يمكن أن يغنيه عن عمل الخادم ويعيش من خيراته حياة الرغد والنعيم ، وطالب أخاه به فماطله الأخ ، ولما كثر الإلحاح قرر أن يمنحه الحقل الذى التهمه الفيضان ، وكتب فى البردية التى خطط فيها أفكاره أمام ( كارا ) : ( هذه سأعطيك إياها ) ، ولا أدرى ما الذى ألهمه ، فلم يتخلص من البردية ولجأ إلى تخبئتها تحت حشية السرير ، ولم يطق ( كارا ) صبرًا فذهب لرؤية أرضه على الفور ، لكنه صدم من مرآها

غارقة لا زرع فيها ولا ضرع ، فعاد ثائرًا ليواجه أخاه الكاهن الأكبر بالأمر ، وكان هذا ليلة الجريمة ، بعد خروج قائد الجيش ونائب الوزير من غرفة الكاهن ..

شحب وجه (كارا) حتى حاكى وجه المومياء ، و (حورى) يستطرد شارحًا تصوره للأمر :

ـ لقد خلع الكاهن صدريته ـ التى لا يخلعها إلا قبل خلوده للنوم كديدن الكهنة كلهم ـ ووضعها على الخوان بجواره ، وفوجىء بـ ( كارا ) داخلاً عليه وعيناه تنبعثان بشرر الثورة ، وتشاجرا حتى انتهى الأمر بأن أخرج ( كارا ) هراوته من تحت ملابسه وانهال بها على رأس الكاهن الأكبر الذى سقط فوق سريره ..

ثم نظر إلى ( محب ) قائلاً :

ـ فى الغالب ، هو لم يبحث عن البردية ، ولم يكن يريدها من الأساس ، بل شعر بالتخبط والاضطراب وظل يلوم نفسه على ما اقترفت يداه ، وسأل نفسه عن تصرف أخيه عند صحوه ، سيطرده وينكل به ، وربما قتله ، وبينما هو مستغرق فى وساوسه أفاق الكاهن الأكبر ، فلم يكن هناك بد من ضربه ثانية ، ثم التخلص منه نهائيًا بخنجر ، ربما ذهب وأتى به خصيصًا بعد ضربته الثانية ، ثم سارع بالتخلص من أداة الجريمة ..

توقف لحظة التقط فيها أنفاسه ثم استطرد من جديد :



ـ وفى الفجر ، يستيقظ ( كارا ) مبكرًا كالمعتاد ـ إنه أول من يستيقظ فى المعبد ـ ويكتشف الجريمة فيصيح ويتظاهر بالإغماء .. وتبدأ أصابع الاتهام فى الإشارة لزائرى الليل اللذين لم يرهما سوى الكاهن ( ماى ) بطريق الصدفة المحضة ..

ثم قال بعد هنيهة صمت :

ـ ونأتى نحن ، ونبدأ العمل ، ويرى (كارا) ـ من خلال الظلال الملقاة على ستار مدخل غرفة الكاهن الأكبر ـ ( محب ) وهو يعثر على البردية ثم يخفيها فى ملابسه ، فيخفى (كارا) وجهه وينهال بهراوته على أم رأس ( محب ) ويسرق منه البردية التى قد تؤدى لكشف أمره ، ثم يذهب للكاهن (سنب) ويصاحبه فى براءة لغرفة التحنيط حيث أعمل أنا مع زميلتنا الثالثة ، ويعثر الكاهن ( ماى ) على ( محب ) جريحًا فيداويه ونهرع إليه نحن .

وبخروج الكاهن (ماى) يقترب (كارا) متلصصًا فى خطوات لا تسمعها إلا الأذن المدربة ليشاهد انعكاس ظلالنا على الستار ، ولما شاهدنى أقترب فهم أننى سمعت خطواته فسارع بالفرار ..

ثم أشار إلى ( كارا ) ، قائلاً :

ـ هذا هو القاتل يا سادة ..

هتف الكاهن ( سنب ) فى غير تصديق :

ـ ربّاه !

وغمغمت ( نفرو ) لنفسها فيما يشبه الهمس :

ـ غير معقول !

بينما تمالك ( تاوى ) دهشته العارمة ، واقترب من ( كارا ) الذى انهار على الأرض مصدرًا أصواتًا غير مفهومة .. ورفعه جاذبًا إياه من ملابسه وهو يهتف فى قسوة :

ـ سأعتبر هذا اعترافًا صريحًا ..

وبسرعة ، أخرج ( كارا ) الهراوة من بين ملابسه ، وانهال بها فوق رأس القائد ( تاوى ) ، ثم سارع متجهًا إلى ( نفرو ) لاويًا ذراعها ومهددًا بهراوته فوق رأسها ..

ندت عن ( نفرو ) آهة ألم ..

وعقد ( حورى ) حاجبيه ..

وصاح ( محب ) :

ـ يا لك من جبان ..

وبدا واضحًا أن الموقف قد تأزم ، وبشدّة ..

★ ★ ★

وبسرعة ، أخرج (كارا) الهراوة من بين ملابسه ، وانهال بها فوق رأس القائد (تاوى) ، ثم سارع متجهًا إلى (نفرو) ..

## ٨ ـ عـــــودة ..

وقف ( حورى ) مشلولاً لا يدرى كيف يتصـرف ، بينمـا خشى ( محب ) من الإتيان بأى حركة قـد تكـون نتيجتهـا مزيدًا من الدماء على أرض المعبد .. أما ( تاوى ) فلم تفقده الضربـة وعيه ونهض مانعًا الجرح فى رأسه من النزيف ، بأن ضغط عليه براحته .. وآثر ( ماى ) صمته الجليدى ، فى حين هتف ( سنب ) بـ ( كارا ) الذى مازال يصدر أصواتًا غير مفهومة .

ـ هذا ليس فى صالحك يا ( كارا ) ..

جن ( كارا ) وأخذ يصرخ فـى صوت رفيـع متقطـع ، فسأل ( حورى ) الكاهنين فى عصبية :

ـ ماذا يريد ؟!

قال ( ماى ) فى بروده الأثير :

ـ هو نفسه لا يدرى !

قال ( محب ) محاولاً أن يبدو ودودًا :

ـ حسن يا ( كارا ) .. لا تكن عصبيًا ، دعها وسوف نـتركك لحال سبيلك ..



صمت ( كارا ) محدقًا فى ( محب ) ، الـذى تمـادى فـى وده بعدما رأى استجابة ( كارا ) :

ـ هون عليك ، نحن أصدقاؤك ، وسوف نساعدك ..

أدرك ( كارا ) الفخ الذى يقتاده إليه ( محب ) فعاود الصراخ ، وفجأة .. تغيرت الأمور تمامًا .. لقد رأى من فى الحجرة ( كارا ) يطير فى الهواء ليسقط على ظهره أمام ( نفرو ) ، التى نفضت كفيها وهى تقول :

ـ يا إلهى ! لقد أفسدت ملابسى !

أسرع ( محب ) بالقفز فوق ( كارا ) الذى يتلوى ألمًا ، بينما هتف ( حورى ) بـ ( نفرو ) :

ـ كيف فعلت ذلك ؟!

قالت راسمة بسمة ساحرة فوق شفتيها :

ـ ألم أقل لك إننى مقاتلة من الدرجة الأولى ؟! أظنك صدقت الآن ..

انتزع ( محب ) الهراوة من يد ( كارا ) الذى استسلم تمامًا ، وهو يسألها متعجبًا :

ـ ولمـاذا تركتـه يزعجنـا بصراخـه كـل هـذا الوقـت ، وكنـت تستطيعين الإطاحة به منذ البداية ؟!

هزت كتفيها قائلة :

ـ كنت أريد أن أشاهد ردود أفعالكم !

غمغم ( حورى ) لنفسه :

ـ مقاتلة من الدرجة الأولى .. يا لهذا الزمان !!

بينما ابتسم ( محب ) قائلاً لها :

ـ يالك من مقاتلة غريبة الأطوار !

أتى ( تـاوى ) بجنديين مـن جنـوده ليحكمـا وثـاق ( كارا ) ويقتاداه إلى الخارج ، ثم التفت إلى الثلاثة قائلاً فى امتنان :

ـ لا أدرى كيف أشكركم ..

أشار ( محب ) إلى ( حورى ) قائلاً :

ـ هذا الرجل هو أكثر من يستحق الشكر فينا ..

أمّنت (نفرو ) على قوله بقولها :

ـ نعم .. فهو الذى حل اللغز المحير ..

قال ( حورى ) فى خجل :

ـ لولا تعاوننا جميعًا لما توصلت إلى شىء .



نظر ( محب ) إلى ( نفرو ) سائلاً إياها مداعبًا :

ـ هل تظنين أنه يجيد أداء دور المتواضع ؟!

ردت عليه مداعبة :

ـ لا أظن ..

انفجروا بالضحك ، ثم اقترب منهم الكاهن ( سنب ) قائلا :

ـ باسم كهنة المعبد كلهم ، أدعوكم فى الغد لحضور تنصيب الكاهن الأكبر الجديد ..

قال ( محب ) :

ـ تقصد اليوم ، إن الفجر يبعث بأضوائه الرمادية فى الأفق ..

قال ( حورى ) مجاملاً :

ـ يشرفنا هذا بالطبع ، كاهن ( سنب ) ..

تبادل الثلاثة نظرات فهموا معناها على الفور ..

فلن يحضر أحد منهم هذا التنصيب أبدًا ..

★ ★ ★

ابتسم الوزير ( سيتى ) فى فخر ، وهو يسمع من ( تـاوى ) ما حدث الليلة الماضية فى المعبد ، وعندما فرغ ( تـاوى ) من رواية ما حدث ، قال ( سيتى ) فى حبور :

ـ إذن ، فعلها جنود ( لوتس ) ..

قال ( تاوى ) وهو يتحسس الضمادة التى لفت بها (نفرو ) رأسه :

ـ إنهم حقًا فخر لنا ، سيد ( سيتى ) .

هز ( سيتى ) رأسه موافقًا ، ثم قال بأسف :

ـ أنت محق يا ( تاوى ) .. ولكن التاريخ لن يسجل عنهم شيئًا .. برغم البطولات الفريدة التى يحرزونها كل يوم ..

وشرد فى المجهول وهو يغمغم بإحدى مأثوراته :

ـ هناك من يصنع التاريخ ، ليدخل غيره التاريخ !

قال ( تاوى ) متجاوزًا هذه النقطة من الحوار :

ـ سيتم إجراء مراسم تنصيب كاهن ( آمون ) الجديد ، مع قراءة الابتهالات الجنائزية على جثة الكاهن الراحل عصر اليوم ..

قال ( سيتى ) .

ـ أعلم هذا ، سوف أصحب الأمير ( تحتمس ) إلى هناك ..

ثم سأله سؤالاً مباغتًا :

ـ وماذا عن قائد الجيش ، والنائب ( بنتاءور ) ؟!



كان ( تاوى ) يتوقع هذا السؤال منذ البداية ، وكان قد أعد له الرد :

ـ لم يعثر عليهما فى أنحاء (طيبة ) ، لقد هربا بالتأكيد .. وقد أوفدت لرؤساء الشرطة فى كل الأقاليم ليعلموا بشأنهما ..

ثم قال فى اعتداد :

ـ لا تقلق سيد ( سيتى ) ، لن يغمض لى جفن حتى أعثر عليهما وأقدمهما بيدىّ للمحكمة كمذنبيْن ..

قال ( سيتى ) وهو ينهض متجهًا للنافذة المطلة على النيل :

ـ هل تعلم أننى ما زلت حائرًا بشأن اختيار نائب جديد لى ..

قال ( تاوى ) وهو يتابعه بنظره :

ـ فى (طيبة ) رجال على أعلى قدر من الكفاءة ..

نظر ( سيتى ) لمياه النيل الجارية قائلاً :

ـ لا تهمنى الكفاءة ، قدر الثقة ..

لم يجد ( تاوى ) ردًا مناسبًا فالتزم الصمت ، بينما تابع (سيتى ) :

ـ لكنى أعتقد أننى قادر على حل هذه المشكلة البسيطة ..

لم يفهم ( تاوى ) ما يرمى إليه الوزير ، إلا عندما التفت إليه هذا الأخير قائلاً :

ـ قائد ( تاوى ) .. سأعينك منذ الغد فى منصب نائبى الجديد ..

سرت قشعريرة لذيذة فى بدن ( تاوى ) ، ولم يستطع منع ابتسامة سعادة من القفز على شفتيه ، وهو ينظر للوزير غير مصدق ما سمعته أذناه ..

أما ( سيتى ) فاستدار من جديد ينظر للنيل ..

بالتحديد ، إلى زهرة تطفو فوق سطحه جارية مع مياهه نحو الشمال ..

زهرة ( لوتس ) ..

★ ★ ★

بزغت الشمس ببطء ودلال من خلف الأفق الشرقى ..

هتف ( محب ) مبهورًا :

ـ إنه يوم سعدى .. لأرى الشروق والغروب فى يوم واحد !

سألت ( نفرو ) وهى تراقب الشمس البرتقالية فى شروقها الفاتن :



ـ وأيهما تفضل ؟!

قال ( محب ) على الفور :

ـ الشروق بالطبع ، فأنا عاشق للحياة !

والتفتت نحو ( حورى ) الذى التزم الصمت ، منذ انطلقت بهما العربة من أمام بوابة المعبد ، سائلة :

ـ وأنت ؟!

قال ( حورى ) فى عدم اهتمام :

ـ هما سيان بالنسبة لى !

غمغم ( محب ) لنفسه فى امتعاض :

ـ كنت أتوقع ذلك !

ثم التفت سائلاً ( نفرو ) :

ـ وماذا عنك ؟!

قالت فى شجن :

ـ أفضل الغروب .. ففيه حزن أكثر !

قال ( محب ) :

ـ يا له من ذوق !

التفتت ( نفرو ) إلى ( حورى ) ثانية وهى تسأله :

ـ هل تعلم ما هو أكثر ما أعجبنى فى هذه المهمة ؟!

سألها متثاقلاً :

ـ ماذا ؟!

قالت فى لهجة تلميح :

ـ أننى لم أكن المسئولة عن هروب ( كـارا ) عندمـا سـمعت أنت خطواته !

ابتسم على الرغم منه وهو يغمغم :

ـ لا عليك .. كان خطئى أنا ..

قال ( محب ) فى مرحه المعتاد مخاطبًا ( نفرو ) .

ـ لو كنت فى موضعك ، لطلبت منه أن يعتذر !

قال ( حورى ) ساندًا رأسه بكفيه :

ـ لو كنت أنا فى موضعك ، لما فعلت .. فلن أعتذر أبدًا !

قالت ( نفرو ) فى ثقة :

ـ أنا أعرف كيف أحصل على ما أريد ..

توقفت العربة عند المرسى الذى يرسو عنده قارب ( محب ) و ( حورى ) .. وكان هذا يعنى أن عليهما أن ينزلا ..

قالت ( نفرو ) :

ـ هنا نفترق ..

رد ( محب ) :

ـ لكننا سنتلاقى ثانية ..



هزت كتفيها قائلة :

ـ من يدرى ؟!

هبط ( حورى ) وخلفه ( محب ) .. وانطلقت العربـة تقل ( نفرو ) إلى حيث لا يعلمان ..

غمغم ( محب ) لنفسه ، وهو يتابع العربة حتـى اختفت فـى الأفق :

حقًا .. من يدرى ؟!

كان ( حورى ) قد فك حبال القارب ، وهو يهتف به :

ـ هيا بنا حتى لا نتأخر ..

وأقلهما القارب عابرًا نحو الغرب ..

إلى ( لوتس ) من جديد ..

★ ★ ★

*( تمت بحمد الله )*

الرواية القادمة : **تماسيح نيلية**

رقم الإيداع : ٩٩/٩٣٣١

الترقيم الدولى : X ـ ٣٥٢ ـ ٢٩٦ ـ ٩٧٧

# روايات مصرية للجيب

## سلة الروايات

في كل رواية متعة دائمة !!

محمد سليمان عبد المالك

## لوتس

# دماء في المعبد

لأن كاهن معبد آمون الأكبر لا يقتل كل يوم ، فقد كانت جريمة فريدة ، فما بالك والمتهمون شخصيات فوق مستوى الشبهات ؟!

ألا يستحق الأمر استدعاء جنود ( لوتس ) ؟!

في الواقع .. إنه يستحق ..

مطابع سلة القرية

قرش جنيه

الثمن في مصر
وما يعادله بالدولار
في سائر الدول العربية والعالم